دَعْوَى تطوُّر الأصوات الثَّلاثة (الضاد ḍ، والطاء ṭ، والقاف q) رُؤْيَةٌ جَدِيدَةٌ

د. علي حمد عبد العزيز الشيخ حمد[1]

مُلخّصُ البَحْث

من الأصوات العربية التي دار الخلاف حولها كثيراً بين المتقدمين من علماء العربية والتجويد من جهة، والأصواتيين المُحدَثين مستشرقين وعرباً من جهة أخرى، هي الأصوات الثلاثة: (الضاد ḍ، والطاء ṭ، والقاف q)، وذلك من حيث تحديد مخرجها، وبيان صفاتها، ورصد تطورها عبر الزمن، ومع وجود خلاف حول غيرها من الأصوات، إلا أنَّ هذه الثلاثة بقيت هي الأبرز من الأصوات والأكثر تداولاً بين الباحثين في دائرة النقاش والخلاف، والأمر لا يتعلق باللهجات العاميَّة فحسب، بل إن الخلاف متجاوز إلى نطقها الفصيح اليوم، ويشمل ذلك النطق القرآني المحفوظ، والزعم بفناء بعضها بوجهه العتيق؛ لذا فقد حاولتُ في هذا البحث رصد توصيف المتقدمين لهذه الأصوات من جهة المخارج والصفات، ثم بيان رؤية المُحْدَثين فيها؛ للخروج برؤية جديدة، تُضيف مزيد بيان وتحريراً لمحل الخلاف، وتجمع أو ترجح، أو تفسر وتحلل كلَّ ما ذُكر من آراء، محاولاً البرهنة والاستدلال لكل ما أتبناه من رأي أو وجهة نظر، حول هذه الأصوات الثلاثة تحديداً، والتي خلص البحث أخيراً إلى أنها لم تتعرض لأي تطوُّر أو تَبدُّل ألبتة، خصوصاً في نطقها القرآني المُجوَّد المعهود.

الكلمات المفتاحية: تطور - الأصوات - الضاد - الطاء - القاف.

(١) كلية الإمام الأعظم الجامعة، قسم أصول الدين، العراق، بغداد.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، المتفضل على عباده بالوحي والنور المبين، حافظ كتابه الكريم، هدى وبياناً للناس أجمعين، ثم الصلاة وأتم التسليم على النبيِّ العربي الأمين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الميامين، ومن اقتدى بهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن العربية لغة القرآن، وهي محفوظة بوعد الله وحكمته، وحفظها قائم بحفظ القرآن المُنزَّل على النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المنقول إلينا تواتراً من غير نكير، وذلك الحفظ وتلك الرعاية الربانية تشمل نطق أصواته، وبُنية كلماته، وانتظام تراكيبه، مع ضبط الأداء العام، وتلك من عجائب هذا الكتاب، وخصائص هذه الأمة المرحومة، ومزايا هذه اللغة العظيمة؛ ولمجمل هذا فليس من السداد التخلي عن هذه الفكرة الأصيلة الموثوقة عقلاً ونقلاً، وليس من المستساغ ولا المرضي التنصل عنها بأي وجه من الوجوه، فضريبة التخلي مطاعنُ تتوالى، وانتقادات تتعالى، وسهامٌ مشبوهة وأخرى جاهلة تتوجَّه نحو عربيتنا وكتابنا العزيز.

منذ عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) وإلى يومنا هذا، تُناقَش قضايا كثيرة - وشائكة أحياناً - حول أصوات العربية وتطورها، وما يتعلق بتحديد مخارجها وضبط صفاتها العامة والخاصة والمفردة، وهذه الآراء والنقاشات مُتَنَاقَلة محفوظة في بطون المدونات العربية، حتى لا تكاد تخفى على باحث أو طالب علم في هذا الميدان، وما زال البحث العلمي حول هذه القضايا الصوتية اللغوية قائماً نشطاً، بل حادّاً مستعراً في بعض محطاته، خصوصاً مع تقدم العلوم وتخصصها الدقيق من جهة، وتعدد الباحثين وتنوع ثقافاتهم ومقاصدهم من جهة ثانية، وليس بعيداً أن يكون الحال مشبوهاً مُريباً من بعض منطلقاته وفي بعض دعواته.

ولعل الخلاف الأكثر ضراوة والأحوج إلى التأني والتأمل حين يكون الأمر متصلاً بنُطق أصوات القرآن الكريم، الكتاب الذي لازمت الأمة تناقله عبر الزمن، حفظاً وضبطاً وفهماً، ومشافهة على الأشياخ والمُتقنين، مما يجعل القول بتطور صوتٍ من أصواته، وغياب النطق الأصلي العتيق قولاً غريباً، ومحتاجاً إلى مزيد تأمل وعناية ونظر قبل تبنيه وتدوينه والدعوة إليه.

ومع ذلك فإنَّ الخلاف شهيرٌ على ألسنة الباحثين في الدرس الصوتي الحديث وفي مؤلفاتهم، حول بعض صفات الأصوات وتحديد مخارجها، والزعم بتطوُّرها وتبدُّلها، حتى صار من المألوف جدّاً التسليم بأن تطوُّراً قد طرأ على بعض أصوات العربية الفصحى، فآلت إلى أصواتٍ غير تلك التي وصفها الخليل وتلميذه سيبويه ومن تبعهم من علماء العربية والتجويد، استجابة لقانون التطور الصوتي الحتمي الذي يسري على مختلف اللغات، ويشمل المستويات الأربع: الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة، فآمنت جموعٌ كبيرة من الدارسين اليوم بأنَّ بعض أصوات العربية قد تلاشى من ألسنة العامة والخاصة تماماً، حتى صرنا ننطق الصوت الفصيح ببديل عنه، فرضته سنة التطور اللغوي على ألسنة المتكلمين بالعربية.

وليس من العقل الرشيد، ولا من المنهج العلمي السليم، التعامي عن مصداقية تأثير هذه القوانين الصوتية في لغات البشر عموماً، ومن بينها العربية أيضاً، بل ولا يحتاج الأمر إلى كبير بحث وطول نزاع، إذ هو واقع مشاهد، خصوصاً عندما يكون الحديث عن لهجاتٍ عاميَّةٍ فرضت نفسها في الاستعمال والاتصال بقوة، ونطقت بها ألسن أبناء المجتمعات عمليّاً، إلا أن الأمر أبعد من ذلك، فقد تقرر عند أكثر الدارسين اليوم أن هذا التطور شمل بعض أصوات الفصحى، بما في ذلك أصوات القرآن، زيادة على اللهجات العامية التي ابتعدت عن النطق الفصيح العتيق، وكذا هو حال القُرَّاء المشهورين، بل والمجيدين منهم على التحديد كما ينص على ذلك كثير من الأصواتيين المُحدَثين من بني العُرب، وقبل ذلك آراء المستشرقين.

ومن أبرز الأصوات العربية التي نالت حظّاً وافراً من البحث والنقاش والسجال بين الباحثين في عصرنا، هي الأصوات الثلاثة التي عليها مدار البحث (الضاد، والطاء، والقاف)، فقد أُفردتْ بدراسات خاصة، وضُمِّنت في مباحث مستقلة من كتب صوتية متنوعة، تناولت تلك الدراسات قضية تطور هذه الأصوات، مع دعوى انحرافها عن العربية الفصحى مخرجاً أو صفة.

والذي حملني على الكتابة في هذه الجزئية القديمة الحديثة، أهميتها العلمية اللغوية الدقيقة، ثم نزعة دينية وحَمِيَّة قرآنية تجتاح القلب والعقل، أثارها شبه إطباق بين الأصواتيين المُحدَثين على أنَّ صوت الضاد مثلاً قد تغير عن سابقه تماماً، وكذا الحال في صوت الطاء وصوت القاف، ويلزم من ذلك القول: إنني اليوم أنطق هذه الأصوات - قارئاً للقرآن - بغير الوجه الذي نطق به سيدي محمد الأمين صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكنتُ قد أخذتُ القراءة عن مشايخي مسندة إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وآمنت جازماً بأنني نطقتُ صوت الضاد على وجهه العتيق، مُحَقَّقاً مُتْقَناً مشافهة كما عُلِّمْتُ من مشايخي، وكذلك هم أخذوا عن أشياخهم.

ثم لو أردتُ رصد الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، سأجد وفرة هائلة في الحديث عن قضايا تطور أصوات العربية، ومن جملتها الأصوات الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها، بل وليس ثمة كتاب في علم أصوات العربية إلا وقد أورد - تفصيلاً أو إشارةً - الحديث عن تطور الضاد والطاء والقاف، بذكر مخرجها وصفاتها، وربما الاستفاضة في تحولاتها وتبدلاتها اللهجية القديمة والمعاصرة، وغير ذلك من المباحث والمسائل الجزئية المرعية في هذا الباب، إضافة إلى جملة أبحاث أو مقالات تدور حول هذه الأصوات توصيفاً وتفسيراً وتحليلاً، ومن تلك الجهود على سبيل المثال لا الحصر:

- **بحث**: «**صوت الضاد العربية التي نزل بها القرآن**»: فرغلي سيد عرباوي، باحث في علم الصوتيات التجويدية القرآنية، منشور على الشبكة الإلكترونية.

- **بحث**: «**مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء**»: الدكتور رمضان عبد التواب، المجلد الحادي والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي (١٣٩١هـ- ١٩٧١م).
- **بحث**: «**الضاد بين الشفاهية والكتابية**»: أبو أوس إبراهيم بن سليمان الشمسان، مجلة الخطاب الثقافي، دراسات، العدد الثاني.
- **بحث**: «**صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتي الحديث**»: د. حليمة عمايرة، مجمع اللغة العربية الأردني.
- **مقال**: «**مخرج صوت الضاد بين الحَدَاثة والقِدَم**»: حمد جاسم محمد، مقال على ملتقى أهل التفسير.
- **مقال**: «**ألفونات صوت الضاد**»: كبير بن عيسى، مقال على موقع الألوكة.
- **مقال**: «**الردّ على علماء الأصوات في مسألة همس الطاء المنطوق بها اليوم**»: محمد يحي شريف، مقال على موقع أهل التفسير.
- **مقال**: «**همس الطاء**»: الدكتور غانم قدوري، مقال على موقعه الخاص على الشبكة الإلكترونية.
- **مقال**: «**مخرج صوت القاف عند القدامى والمحدثين، دراسة مقارنة**»: أحمد جاسم محمد، مقال على ملتقى أهل التفسير.
- **مقال**: «**حرف القاف بين أصول اللغة وهيمنة الخطاب**»: عبد المنعم عجب الفيا، مقال على الموقع الإلكتروني لشبكة الراكوبة.

والذي يُميز هذا البحث عمَّا سبقه من الدراسات الكثيرة هو النتيجة التي توصل إليها بعد التأمل والتحليل والنقد العلمي المنطقي، والتي وصفتها في مطلع البحث وفي عنوانه بـ «رؤية جديدة»، التي تتطلب بالضرورة رصد ما قيل قديماً وحديثاً، والوقوف الدقيق على تحرير القول بتطور هذه الأصوات، وأثر ذلك في نطق القراء الذين أخذوا قراءتهم مشافهةً الخلف عن السلف إلى يومنا، ثم تبني الفكرة التي تؤكد أن القول

بالتطور لا تخرج عن كونها دعوى يعوزها مزيد من النظر والمراجعة، ولم أجد فيما اطلعت عليه من كتابات من خلص إلى ما قرره البحث، مع الالتزام بالمنهج العلمي والبراهين الوجيهة التي أوصلت الباحث إلى ذلك، مع السير بمنهج استقرائي ثم وصفي تحليلي.

وقد اشتمل البحث الموسوم «دَعْوى تطوُّر الأصوات الثَّلاثة (الضاد ḍ، والطاء ṭ، والقاف q) رؤية جديدة» على مقدمة، وثلاثة مباحث:

الأول منها: تناول صوت الضاد بين المتقدمين والمُحدَثين.

والثاني: خُصص لصوت الطاء بين المتقدمين والمُحدَثين.

وعني الثالث: بصوت القاف بين المتقدمين والمُحدَثين.

ثم تلا تلك المباحث خاتمة موجزة، لخَّصتُ فيها أبرز نتائج البحث، ألحقتها بعدُ بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في البحث، سائلاً الله الكريم التوفيق والتسديد، والحمد لله رب العالمين في البدء وفي الختام.

المبحث الأول
صوت الضاد بين المتقدمين والمُحدَثين

أولاً: إشكالية صوت الضاد:

صوت الضاد من أكثر أصوات العربية إثارة للاهتمام، منذ زمن أسبق من زماننا اليوم بكثير، مع ما لقيه اليوم من مناقشة وتداول لموضوعه وقصته بين الباحثين المهتمين بعلم الأصوات على وجه التحديد، وسبب هذا الاهتمام صعوبة نطق هذا الصوت، وتَعَسُّر تحقيقه على الوجه الأمثل، فقد ذكر ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) اضطراب نطق الصوت في زمانه، فقال: «إنَّ من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقاً في جميع كلامهم[١]، ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها، بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب، ومنهم من يخرجها لاماً مفخمة، وهم الزيالع[٢] ومن ضاهاهم». ثم قال: «واعلم أن هذا الحرف خاصَّة إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه لا يقدر عليه بكُلفة ولا بتعليم»[٣].

(١) ولأجل هذا الخلط بين الصوتين أُلِّفت كُتُبٌ كثيرة للتفريق بين الصوتين في الكلام، منها مثلاً: كتاب «الفرق بين الضاد والظاء» للصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، ومثله لأبي القاسم الزنجاني (ت: ٤٧١هـ)، وكتاب «معرفة الفرق بين الضاد والظاء» لابن الصابوني الإشبيلي (ت: ٦٣٤هـ)، وكتاب «الفرق بين الضاد والظاء» لأبي بكر الشيباني الموصلي (ت: ٧٩٧هـ) وغيرها.

(٢) الزيالع: جمع، واحدها «زيلعي»، نسبة إلى «زيلع»، وهي قرية على البحر بناحية الحبشة، تقع اليوم شمال غرب جمهورية الصومال، على ساحل خليج عدن المقابل لدولة جيبوتي. ينظر: لب اللباب في تحرير الأنساب، السيوطي (١٢٩)، والموسوعة الحرة ويكيبيديا على الشبكة العالمية:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%8A%D9%84%D8%B9.

(٣) التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري (١٣١). الأصل أن التعليم والدُّربة والتمرين تؤتي أكلها في نطق الضاد غالباً، وهذا ما نراه في نطق كثير من الأعاجم، اللّهُمَّ إلا إذا أراد ابن الجزري بالطبع سلامة الفرد من عيوب النطق الخَلْقية.

وأشار بعضهم إلى نطق الضاد في لسان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه أفصح العرب في نطق الضاد، وتمكنه من تعدد مواضع تحقيقها، فكان يتكلَّفها من الجانب الأيمن ومن الجانب الأيسر، ومنهما إذا شاء، وذلك مما اختص به[١].

وهذا يشير إلى وجود إشكال في نطق عامة الناس في زمانه، مما جعلهم يُمَيِّزون نطقه ويصفونه بالأفصح، وهذا التعدد في النطق يتضمن أنه في سياقات جُمليَّة معينة، وبتأثير أصوات معينة[٢].

بل وعمد بعضهم إلى تأليف كتب خاصَّة بهذا الصوت، مما يدلل على عمق مشكلة هذا الصوت، ككتاب «غاية المراد في معرفة إخراج الضاد»[٣] لابن النجار (ت: ٨٧٠هـ)، وكتاب «بغية المرتاد لتصحيح الضاد»[٤] لعلي بن غانم المقدسي (ت: ١٠٠٤هـ)، وكتاب «كيفية أداء الضاد»[٥] لمحمد المرعشي (ت: ١١٥٠هـ) وغيرها ليس بقليل.

ثانياً: مخرج الضاد وصفاته عند المتقدمين:

إن تحديد مخرج الصوت وبيان صفاته عند المتقدمين يتضح بالاطلاع على عبارات سيبويه ومن تبعه من علماء العربية وعلماء التجويد والإقراء، فيرى سيبويه (ت: ١٨٠هـ) أن مخرج هذا الصوت من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[٦]،

(١) ينظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، النويري (٢٣٣/١)، والوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد الحفيان (٧٤).

(٢) ينظر: علم الأصوات النحوي، سمير استيتية (٦٧).

(٣) منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، الجزء الثاني، المجلد التاسع والثلاثون (١٩٨٨م) (ص٢٥٠ - ٢٧٠)، بتحقيق: الدكتور طه محسن.

(٤) منشور في مجلة المورد، بغداد، العدد الثاني، المجلد الثامن عشر (١٩٨٩م) (ص١١٨ - ١٤١)، بتحقيق: الدكتور محمد جبار المعيبد.

(٥) وهو كتاب مطبوع في دار البشائر، دمشق، سوريا (٢٠٠٣م)، بتحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن.

(٦) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤٣٣/٤)، شرح كتاب سيبويه، السيرافي (٣٩١/٥)، والأصول في النحو، ابن السراج (٤٠٠/٣)، والمفصل، الزمخشري (٥٤٦)، والبديع في علم العربية، ابن الأثير (٦١٠/٢)، وارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان (٩/١).

ويقول ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): «من أول حافَّة اللِّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلَّفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»[١].

ويقول رضي الدين الإستراباذي (ت: ٦٨٦هـ): «مخرج الضاد، هو أول أحد طرفي اللِّسان وما يليه من الأضراس، والأكثر على إخراجها من الجانب الأيسر، وقد يتيسر لبعض من الجانب الأيمن، وقد يستوي الجانبان عند بعض»[٢].

أما صفاته حسب توصيف سيبويه فهي: الجهر، والرخاوة، والإطباق، والاستعلاء، والاستطالة[٣]. ويقول مكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ): «الضاد تخرج من أول حافَّة اللِّسان وما يليه من الأضراس، وهو حرف قويٌّ؛ لأنَّه مجهور مطبق من حروف الاستعلاء، وفيه استطالة، والضاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج، وأشدها صعوبة على اللَّافِظ»[٤].

وقال أيضاً: «الحرف المستطيل هو الضاد، سُمِّيت بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها، حتى اتصلت بمخرج اللام، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء فقويتْ بذلك، واستطالتْ في الخروج من مخرجها حتى اتصلتْ باللام؛ لقرب مخرج اللام من مخرجها»[٥].

وبالتحديد والتوصيف الذي ذكره سيبويه التزم كل من جاء بعد سيبويه من علماء العربية والتجويد على حدٍّ سواء[٦]، وكذا المُحدَثون ممن صنَّفوا في

(١) سر صناعة الإعراب، ابن جني (٦٠/١).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، الإستراباذي (٩١١/٢). وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش (٥١٧/٥).

(٣) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤٣٤/٤، ٤٣٦، ٤٥٦).

(٤) الرعاية، مكي القيسي (١٨٤، ١٨٥). وينظر: الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي (١٢٣)، والنشر، ابن الجزري (٢٠٠/١).

(٥) الرعاية، مكي القيسي (١٣٤).

(٦) ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج (٤٠٠/٣)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (٦٠/١، ٧٦، ٢٢٥)، والرعاية، مكي القيسي (١٥٨)، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٤٦)، واللباب في علل البناء والإعراب، العكبري (٤٦٣/٢)، إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة (٧٥٤)، والتمهيد في علم التجويد، ابن الجزري (١٣٠).

علم التجويد[1]، بزيادة يسيرة لا تعدو أن تكون تفسيراً أو بياناً لعسر إخراج الصوت، والتنبيه على مراعاته لئلا يختلط الصوت بغيره.

ثالثاً: الضاد في الدرس الصوتي الحديث:

أما في التحليل الصوتي الحديث، فللضاد قصة طويلة شائكة في بحث الأصواتيين اليوم[2]؛ إذ لقيت كثيراً من الاهتمام، بحثاً وتحليلاً وتوصيفاً، ونالت حظّاً كبيراً من جهود المستشرقين والعرب من علماء الأصوات[3]، خصوصاً أنَّ هذا الصوت لا تملكه لغة غير العربية، فيقول الدكتور كمال بشر: «صوت الضاد على قمة السمات الصوتية التي تنفرد به اللغة العربية، وذلك أن هذا الصوت - بوصفه وحدة صوتية ذات قيمة ووظيفة في تركيب الكلمة ودلالتها - ليس له وجود على الإطلاق في أية لغة معروفة لنا على وجه الأرض»[4].

وقد ذهب أكثر الأصواتيين المُحْدَثين من المستشرقين[5] وغيرهم إلى أنَّ النطق العربي المعاصر لصوت الضاد لا يوافق وصف المتقدمين لهذا الصوت، وذلك بأنه كما وصفه المتقدمون: جانبي رخو مجهور مطبق مستطيل، وهو اليوم ليس كذلك، وقد حلَّ محلَّ الضاد صوت الظاء أحياناً، أو صوت الدال المطبقة، أو الطاء المجهورة[6].

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، محمد مكي نصر (١٠١)، وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي (١٣٩)، والقول السديد في علم التجويد، أبو الوفا (١٥٤)، والوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، أحمد الحفيان (٧٤)، وغاية المريد في علم التجويد، عطية نصر (١٢٠، ١٣١) وما بعدها.

(٢) هكذا وصفها كمال بشر «قصة الضاد». ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٢١٣).

(٣) وقد ناقشها رمضان عبد التواب في اثنتي عشرة صفحة في كتابه «المدخل إلى علم اللغة». ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٦٢ - ٧٤).

(٤) دراسات في علم اللغة، كمال بشر (١٩٨).

(٥) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، شاده (٩)، والتطور النحوي، برجشتراسر (١٦)، ودروس في علم أصوات العربية، جان، كانتينو (٨٤ - ٨٧)، والعربية الفصحى، هنري فليش (٥١).

(٦) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٢٥٣)، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٤٩، ٥٠).

إنَّ الضاد التي ننطقها اليوم، هي صوت شديد مجهور يهتز معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتاً انفجارياً وهو الضاد[١]، وهي بذلك تعد النظير المجهور للطاء، فلا فرق بينهما إلا أن الطاء صوت مهموس والضاد صوت مجهور، كما أنه لا فرق بين الدال والضاد إلا أن الضاد مطبق (مفخم)، والدال لا إطباق فيه[٢]، مع أن سيبويه لا يرى لها نظيراً في النطق فيقول: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجتْ الضاد من الكلام؛ لأنَّها ليس شيء من موضعها غيرها»[٣].

وواضح اليوم أنَّ ذهاب الإطباق من صوت الضاد لا يُخرجها من الكلام، بل يجعلها دالاً، ووفق هذه المعادلة، توصل الأصواتيون إلى أنَّ الضاد اليوم احتلتْ موقع الطاء العتيقة، والطاء العتيقة قد هُمست اليوم، أما الضاد التي ذكرها سيبويه فلا وجود لها في عصرنا كما يرى المُحدَثون من المشتغلين بعلم الأصوات.

يقول برجشتراسر في هذا: «الضاد العتيقة حرف غريب جدّاً، غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية، ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن للضاد نطقاً قريباً منه جدّاً عند أهل حضرموت وهو كاللام المطبقة»[٤].

وذكر أنَّ ممَّا يمكن أنْ يُستدل به هنا هو أنَّ الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ذكر في المفصل أنَّ بعض العرب كانت تقول: (الطجع) بدل: (اضطجع)[٥]، فيبدو أن الضاد العتيقة كانت تشبه اللام من بعض الوجوه، والفرق بينهما أن الضاد مطبقة وذات دوي، واللام غير مطبقة، صوتية محضة مجهورة، فيظهر أن الأندلسيين كانوا يطبقون،

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٤٩).
(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٢٥٣).
(٣) كتاب سيبويه (٤/٤٣٦).
(٤) التطور النحوي، برجشتراسر (١٦).
(٥) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٥٥)، والتطور النحوي، برجشتراسر (١٩).

كاللام المطبقة عند أهل حضرموت، لذلك استبدل بها الإسبان الـ (id) في الكلمات المستعارة في لغتهم، ككلمة القاضي صارت في الإسبانية (alcalde)[١].

ويقول جان كانتينو: «وقد صارت الضاد ظاءً في الألسن العربية الدارجة العصرية... ونشأ عن ذلك كيفيات مختلفة في نطق الضاد، ظاءً ودالاً مفخمة... فيجوز القول بأنَّ هذا الحرف قد خرج من هذه الألسن واضمحل منها»[٢].

وما شاع عند المستشرقين من القول بتطور الضاد وتحوله وتلاشي الصوت العتيق، تطاير شرره إلى الدارسين العرب، الآخذين عن المستشرقين دراسةً وتعلُّماً، لذلك يقول الدكتور حسام النعيمي: «وهذا الذي ذكره برجشتراسر كان مُنَبِّهاً لمن كتب بعده، فتكرر الكلام على هذه الحروف، ومخالفتها النطق القديم»[٣].

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «إن الضاد التي وصفها سيبويه هي صوت فريد لا نكاد نجد له نظيراً في اللغات السامية شقيقات اللغة العربية»[٤]. وذلك أن الضاد التي وصفها سيبويه تختلف عن ضاد المصريين وأهل الشام في موضعين:

الأول: أن ضاد المصريين شديدة انفجارية، في حين أن التي وصفها سيبويه هي رخوة.

الثاني: أن ضاد المصريين مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ولكنَّ التي وصفها سيبويه مخرجها أول حافَّة اللسان وما يليه من الأضراس على حسب تعبير سيبويه[٥].

وقد قرر الدكتور رمضان عبد التواب أننا إذا نظرنا إلى وصف القدماء للضاد من النحويين واللغويين وعلماء القراءات، عرفنا أن الضاد القديمة تختلف عن التي ننطقها الآن في أمرين جوهريين:

(١) ينظر: علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٣٦).
(٢) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (٨٧).
(٣) أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٩).
(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٥١).
(٥) ينظر: المصدر نفسه.

أولهما: أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة، بل حافَّة اللسان وجانبه.

ثانيهما: أنها لم تكن انفجارية - شديدة - بل كانت صوتاً احتكاكياً - رخواً -[١].

ويقول الدكتور هادي نهر: «أما الضاد فلا مقابل لها، لتَعَقُّدِ مخرجها واختلاف القدماء والمُحْدَثين حوله، ويبدو أنها كانت تشبه اللام من بعض الوجوه، والفرق بينهما أن الضاد من الحروف المطبقة، وأنها من ذوات الدوي، واللام غير مطبقة، فالضاد العتيقة تبدو حرفاً غريباً جدّاً... ويغلب أن النطق القديم للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن لها نطقاً قريباً جدّاً منه عند أهل حضرموت كاللام المطبقة»[٢].

ويستدرك الدكتور عبد القادر عبد الجليل على القائلين بتلاشي صوت الضاد من العربية ولهجاتها اليوم، فيرى أن النطق العراقي لهذا الصوت يقترب بعض الشيء من تلك الضاد القديمة أو يحمل سمات تطورية لبعض صفاته، وفي أحيان قريبة من نطق الظاء[٣].

ولا أدري ما الذي يعنيه بذلك القرب، فإن كان يعني بقوله القُرَّاءَ والمُجيدين المتقنين من قارئي القرآن، فهم لا يختلفون أبداً في نطقهم للضاد عن غيرهم من قُرَّاء الأمصار، بل إن كثيراً من قُرَّاء العراق قد أخذ القراءة مشافهة بالسند عن غير العراقيين، ولا يلحظ عليهم مخالفة بأي سمة نطقية لهذا الصوت. وإن كان يعني بنطق العراقيين اللهجة العامية، فلا أظن أن الضاد العتيق له أثر في اللهجة العامية العراقية، فالجميع ينطقها ظاءً، وهذا ظاهر على ألسنة الناطقين باللهجة، وقد أشار غير واحد من الباحثين إلى ذلك[٤].

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٦٣).

(٢) علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٣٦).

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل (١٦٧).

(٤) ينظر: أصوات العربية، بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٣٧)، والمدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٧٥).

ثم إنَّ القرب الذي يعنيه، إن كان مقصوداً به اشتراك هذا الصوت مع الصوت العتيق ببعض الصفات، فلا نكير لهذا ألبتة، ولم يقل أحد بغير ذلك، فالضاد اليوم هي تشارك الظاء ببعض الصفات، وتشارك الدال ببعض الصفات، وكذا الحال مع الضاد العتيقة، فما المسوغ لإيراد مثل هذا التقارب المسَلَّم به ولا يحتاج إلى كبير نظر؟

وكما يبدو ظاهراً أن هذه القصة لم تكن وليدة الدرس الصوتي الحديث، بل إن جذورها ممتدَّة في أعماق وأوليات الدرس الصوتي العربي، فإننا نلحظ إشارة المتقدمين من علماء العربية إلى صعوبة هذا الصوت وعسر نطقه، واضطراب حال الناس في تحقيقه على الوجه السليم أو المثالي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

والذي يهمنا هو نطق القُرَّاء لهذا الصوت بالتحديد، فهو النطق المعتبر للفصيح من العربية، وهو النطق المثالي لأصوات اللغة، وقد وضع الدكتور حسام النعيمي ضابطاً مهمّاً لتقرير تطور الصوت من عدمه، فقال: «قبل الخوض في الكلام على التحول الصوتي وقبوله أو رفضه، نضع ضابطاً للقول بالتحول والثبات في أي صوت نبحثه، وخير ضابط أن يُنظَر في الصوت المدروس، كيف ينطق قراء القرآن المجيدون في قراءتهم؟ وكيف ينطقون الصوت ذاته في لهجاتهم المحلية؟ فإن وجدناهم يتفقون على نطقه في قراءة القرآن - وإن اختلفوا فيه في لهجاتهم - كان ذلك دليلاً على أنَّ النطق المُجمع عليه نطق موروث بالتلقين والتلقي، وإن وجدناهم يختلفون في نطقه في قراءة القرآن، دلَّ ذلك على تحول الصوت»[1].

وإن كان هذا الضابط معتبراً - وهو كذلك إلى حدٍّ ما - فيتفق المتابعون لقُرَّاء القرآن، العارفون بصنعة القراءة والإقراء في مختلف الأمصار، أنَّ نطق المتقنين المحققين لتلاوة القرآن يتفق تماماً في هذا الصوت، ولو خالف فردٌ في مصرٍ من الأمصار لجرى التنبيه على تلك المخالفة، وبناءً على ذلك فلا تحوُّل في صوت الضاد وفقاً لهذا الضابط.

(١) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٩).

أما موقف الدكتور غانم قدوري من هذا التحليل ورأيه في هذا الصوت، فقد أفرد للضاد وغيرها مما وقع الخلاف فيه موضعاً خاصّاً، ناقش فيه قصة الضاد التي نناقشها هنا، تحت مبحث «مظاهر التطور في أصوات العربية الفصحى»[1]، ووازن بين وصف المتقدمين من اللغويين والتجويديين لهذا الصوت، وما قاله المُحْدَثون عن هذا الصوت. والنتائج التي خلص إليها الدكتور غانم قدوري من خلال دراسته لهذا الصوت ما يأتي:

أولاً: إنَّ صوت الضاد قد أصابه التطور والتغير، وإنَّ الضاد المنطوقة اليوم على ألسنة المتخصصين من القُراء في مصر والشام ومن تابعهم من قراء البلاد الإسلامية، هي إما طاء مجهورة، وإما دال مفخمة.

ثانياً: إنَّ هذا النطق المشار إليه - نطق القُرَّاء - هو الذي يجب أن يُحتذى في نطق العربية الفصحى اليوم على ألسنة الناطقين بها؛ وذلك لجملة أسباب:

- إنَّ الرجوع إلى نطق الضاد القديمة غير موجود في الواقع، وهو غير ممكن كما يرى.
- وجود الخلط بين الظاء والضاد كما هو حاصل في لهجة العراقيين وغيرهم، وحصول الإجماع على هذا النطق يتحقق به التمييز بين الضاد والظاء.
- إننا نجد أكثر قراء القرآن في العالم الإسلامي ينطقون الضاد الطائية، وهم القدوة في النطق الفصيح للعربية.
- ثم إنَّ اتباع هذا النطق خير سبيل لتوحيد النطق العربي في هذا الصوت الذي لحقه التغير خلال القرون، وتطور على صور متعددة في البلدان الناطقة بالعربية[2].

(١) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٦٨) وما بعدها.
(٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٧٥، ٢٧٦).

رابعاً: صوت الضاد «رؤية جديدة»:

بعد عرض موجز لآراء المتقدمين والمُحدَثين حول صوت الضاد والخلاف الحاصل في تحديد مخرجها وبعض صفاتها، فإنَّ وجهة نظري في هذه المسألة هي على النحو التالي:

أولاً: أستبعد حصول التطور لهذا الصوت على النحو الذي ذكره المُحْدَثون من علماء الأصوات، تعبداً أولاً، ثم علميّاً ونظريّاً ثانياً، كما سيأتي تقرير ذلك.

ثانياً: إنَّ الذين يتحدثون عن التطور لهذا الصوت، كثيراً ما يخلطون بين اللهجات العاميَّة والاستشهاد بها، والنطق الفصيح اليوم، وبين نطق المُجيدين من قُرّاء القرآن الكريم، وهذا الخلط يُشكِّك في قيمة النتائج التي يُتَوَصَّلُ إليها.

ثالثاً: القول بأنَّ صوت الضاد العتيق قد تلاشى تماماً قول فيه نظر، فقد أشار برجشتراسر إلى أنَّ الضاد العربية القديمة يقترب من نطق أهل حضرموت، وهو كاللام المفخمة، وأنَّ أهل الأندلس كانوا ينطقون الضاد مثل نطق أهل حضرموت(١). وكذا أشار الدكتور عبد القادر عبد الجليل إلى قرب النطق العراقي لهذا الصوت من النطق القديم(٢)، على وفق ملاحظته لنطق بعض البيئات العراقية.

إضافة إلى ذلك فإنَّ الشيخ محمد حسن حسن جبل قد ذكر وصف سيبويه للضاد، ثم قال متحدثاً عن نفسه: «وأنا أنطقها، وأُعَلِّمُها طلَّابي حسب الوصف القديم تماماً، وزُكِّيَ هذا النطق أمام نخبة من العلماء»(٣). وبمجموع هذه الأقوال ينتقض القول بتلاشي الصوت وغيابه.

(١) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٩).
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل (١٦٧).
(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل (١١٣).

رابعاً: أجزم تعبداً أن المتقنين المجيدين من القُرَّاء اليوم في مختلف بقاع الأرض، هم ينطقون الضاد التي نطقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تطوُّر ولا تحوُّل، وذلك لجملة أسباب:

١. إنَّ القرآن الكريم نُقل إلينا مشافهة بالتواتر جيلاً عن جيل، فأخذ الخلف عن السلف أصوات القرآن الكريم بكل دقة وإتقان وضبط، مع حرص شديد، وعناية فائقة من المُعَلِّم المقرئ والمُتَعَلِّم الآخذ؛ لقدسية هذا الكتاب، والخوف من وقوع الزلل واللحن في نطق لفظ من ألفاظه، أو صوت من أصواته، ومن أخذ القرآن عن شيخٍ متقنٍ اليوم لاحظ هذه العناية الفائقة بكل تفاصيل القراءة، من مدود وغُنن ومخارج وصفات وحركات وسكنات وغيرها.

٢. إنَّ القرآن الكريم بألفاظه وأصواته محفوظ بحفظ الله، قال ربي: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]، والقول بغير ما ذكرتُ ينافي حفظ الله لهذا الكتاب، ومن لوازم قول المُحدَثين وتحليلهم لصوت الضاد وقولهم بتطوره أن القُرَّاء اليوم لا ينطقون صوت الضاد بالنطق الذي نطقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣. إجماع قُرَّاء الأمة المعروفين على نطق واحد، واتفاق نطقهم لهذا الصوت، بمختلف أوطانهم ومع تباعد أمصارهم، يمنع القول بالتطور عقلاً، إذ كيف اجتمع لفظهم مع عدم لقائهم وتواطئهم؟ لولا أنَّ ذلك النطق هو المحفوظ الذي تناقلته الأمة عبر الزمن، فوَصَلَنا كما وصل غيرنا.

٤. هناك مجال واسع لتجاوز هذا القول - أي: القول بالتطور - من خلال تحليل بعض أقوال المتقدمين وتفسيرها، أو حتى القول بخطئهم ووهمهم وهم على عُذر، تجاوزاً للقول بتغيُّر الصوت وتبدُّله.

إنَّ علماء الأصوات المُحْدَثين يرون أنا لو نظرنا إلى وصف القدماء للضاد، من النحويين واللغويين وعلماء القراءات، عرفنا أنَّ الضاد القديمة تختلف عن الضاد التي ننطقها اليوم، حسب توصيف الأصواتيين لها، من وجهين:

الأول: مخرج الضاد، وهو أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة، بل حافَّة اللسان أو جانبه.

الثاني: إنَّ الضاد القديمة صوت رخو (احتكاكي)[١]، وهي الآن صوت شديد (انفجاري)[٢].

والأمر كذلك فقد حدد سيبويه مخرج الضاد بقوله: «من بين حافة اللسان وما يليه من الأضراس»[٣]. ويقول المبرد (ت: ٢٨٥هـ) متابعاً وموضحاً: «مخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر»[٤]. وكذلك قال من تبعهم.

إلا أنَّ هذا الصوت مشتمل على صفة مهمة تخصه، وهي الاستطالة، التي تلازم هذا الصوت في نطقه المثالي، ويُعرِّفها أصحاب الصنعة: بأنها «امتداد صوت الضاد من أول حافة اللسان إلى آخرها حتى يتصل بمخرج اللام، وهي صفة لحرف الضاد خاصة»[٥].

---

(١) مصطلح (احتكاكي) يقابل مصطلح (رخو) عند المتقدمين، وتتكون الصوامت الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً. والصوامت العربية التي يصدق عليها هذا الوصف هي: (ف، ث، ذ، ظ، س، ز، ص، ش، خ، غ، ح، ع، ه). ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران (١٤٣، ١٤٤)، والمصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (١٢٤).

(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٢٥٤)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٦٣). ومصطلح (انفجاري) يقابل (الشديد) عند المتقدمين، وتتكون هذه الأصوات بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تامّاً في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف، أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجاريّاً. وهي في العربية الفصحى: (ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، همزة القطع). ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران (١٢٨)، والمصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (١١٩).

(٣) الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٣).

(٤) المقتضب، المبرد (١/١٩٣).

(٥) معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، عبد العلي المسئول (٦٩).

ففي تقديري أنَّ المتقدمين قد خلطوا بين الصفة والمخرج، في تحديدهم لنقطة خروج الصوت وضبط محله، فأشكل عليهم ذلك عندما اعتنوا كثيراً بملاحظة الصفة الملازمة للصوت، وهي الاستطالة التي من خلالها نشعر بامتداد صوت الضاد من حافة اللسان، فاعتمدوها في تقرير مخرج الصوت أكثر من اعتمادهم على مراقبة طرف اللسان حال النطق بالصوت، فاللسان بطرفه يصطدم باللثة وأعلى الثنايا، وموطن تحقيق الاستطالة حافة اللسان، لانحباس بعض الهواء بينه وبين الخد، فأهملوا طرف اللسان أين يكون موضعه مع صوت الضاد ونظروا إلى حافته، وعلى هذا قرروا أن مخرج الضاد هو حافة اللسان، وفي حقيقة الأمر أن الحافة هي موطن تحقيق صفة الاستطالة، ومقدمة اللسان هي التي صنعت مخرج الضاد كما تقرر عند المُحدَثين، فاشترك طرف اللسان وحافته في صناعة صوت الضاد، فالطرف حقق المخرج والحافة حققت الصفة المفردة اللازمة للصوت وهي الاستطالة.

لذلك نقول: إنَّ سبب الاضطراب عند المتقدمين في تحديد مخرج هذا الصوت وربما غيره من الأصوات، هو إدخال اللسان في التقسيم بكل أجزائه، واعتماده حيناً وإهماله حيناً آخر، فاللسان عضو مرن متحرك[1] يشترك في إنتاج وصناعة كثير من الأصوات؛ لذا فإن اعتماده في تحديد مخارج الأصوات يوصل إلى نوع من الاضطراب، والاقتصار على أجزاء الحنك الأعلى في نسبة الأصوات إليها أميز في الاصطلاح، وأدق في التوصيف.

ومع هذا الذي ذكرنا من تحليل ووجهة نظر، لو أردنا أن نتجاهله ولا نركن إليه، أو نردَّه لأي سبب كان، فالقول بتخطئة المتقدمين من علماء العربية والتجويد عموماً في وصفهم لهذا الصوت، أحبُّ إليَّ من القول بأن صوت الضاد قد ضاع اليوم من نطق العرب والقُراء على وجه التحديد، وأنهم اليوم ينطقون صوتاً قرآنياً لم ينطق به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا لا يمكن أن أستسيغه مطلقاً.

(١) نشير هنا إلى أن الأعضاء التي تشترك في تكوين الصوت منها ثابت ويسميه بعضهم «الناطق السلبي» ومنها متحرك ويسمى «الناطق الإيجابي». ينظر: نظرات في علم الأصوات، منير الشطناوي (٤١).

خصوصاً إذا علمنا أنَّ المتقدمين كانوا ينقلون كلام سيبويه غالباً حتى من دون زيادة، فيقول الدكتور عبد الفتاح إبراهيم في ذلك: «وقد لا تكون نصوص التراث مفيدة جدّاً في تحديد نطق هذا الحرف وتطوره؛ لأنها تُنقل عن بعضها بعضاً، ولأنّ أصحابها نادراً ما وصفوا نطق معاصريهم، فهم يلجؤون إلى نقل أقوال السابقين اعتقاداً منهم أنّه وصف لنطق العرب الفصحاء الذين صحّت عربيتهم، يضاف إلى ذلك أنّهم قد لا يحدّدون المصطلحات التي يستعملونها تحديداً شاملاً مانعاً وموحّداً»[1].

(١) مدخل في الصوتيات، عبد الفتاح إبراهيم (٩٢، ٩٣).

المبحث الثاني
صوت الطاء بين المتقدمين والمحدثين

أولاً: مخرج صوت الطاء:

حدد المتقدمون من علماء العربية والتجويد مخرج الطاء، وهو كما قرروه «ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا»[١]، وهو مخرج لصوت الدال والتاء أيضاً، هذا ما ذكره سيبويه في كتابه، ثم تبعه على ذلك كل من جاء بعده من علماء العربية[٢] والتجويد[٣]، محتفظين بعبارته من غير تبديل ولا تعديل، مع زيادة تفسيرية يسيرة من بعضهم، فيقول المبرد: «من طرف اللِّسان وأُصول الثنايا مُصْعِداً إلى الحنك مخرج الطاء والتاء والدَّال»[٤]. ويقول ابن الجزري: «من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك، ويقال لهذه الثلاثة النِّطْعِيَّة؛ لأنها تخرج من نِطْع الغار الأعلى، وهو سقفه»[٥].

وزاد المرعشي (ت: ١١٤٥هـ) تفصيلاً على ما سبق، ففرَّق الأصوات الثلاثة المذكورة ومنها الطاء على ثلاثة مخارج جزئية دقيقة - وإن كان مخرجها الأصلي الجامع هو ما ذُكر آنفاً - وذلك لأنَّ أصوات المخرج الواحد تتمايز في موضعها، فقال: «فظهر أن أصليهما ينقسمان إلى ثلاثة مواضع: فما يلي اللثة منها يخرج منه الطاء، ومن بعيده الدال ومن بعيده التاء»[٦].

---

(١) الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٣).

(٢) ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج (٣/٤٠٠)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (١/٦٠)، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٤٦)، واللباب في علل البناء والإعراب، العكبري (٢/٤٦٣)، والممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور (٤٢٥).

(٣) ينظر: الرعاية، مكي القيسي (١٩٨)، الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي (٨٧)، والنشر، ابن الجزري (١/٢٠٠)، وجهد المقل، المرعشي (٢٧٩).

(٤) ينظر: المقتضب، المبرد (١/١٩٣).

(٥) النشر، ابن الجزري (١/٢٠٠).

(٦) جهد المقل، المرعشي (٢٧٩).

وقد ذكر الخليل قبل سيبويه أن «الطاء والتاء والدال نِطْعية؛ لأنَّ مبدأها من نِطع الغار الأعلى»(١)، وهو سقفه(٢)، وجاء في اللسان أن النطع هو «ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الحُلَيْقاء فيها آثار كالتحزيز، وهناك موقع اللسان في الحنك»(٣).

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن مصطلح «النِّطْعِيَّة» الذي عدَّه الخليل مخرجاً للطاء والدال والتاء غير دقيق، وقد جانبه التوفيق؛ لأنَّ النطع كما شرحته المعاجم هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا، وتدل التجارب الحديثة على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا، فهي أصوات أسنانية لثويَّة(٤).

وظاهر كلام العلماء كما يقول الدكتور غانم قدوري: يقتضي نفي أن يكون مبدؤها نطع الغار الأعلى؛ لأنها تتكوَّن من نقطة تتحدد بالتقاء اللسان بأصول الثنايا، وأصول الثنايا بعيدة من نطع الغار الأعلى(٥). ولهذا فإنه يغلب على علماء العربية قلة استعمال هذا المصطلح، إضافة إلى عنايتهم بالصفات التي تتغير بفعل تجاوز الحروف بعضها من بعض، وتأثيرها على بعض، ولا سيما في الإدغام(٦).

أما تحديد مخرج صوت الطاء عند المُحْدَثين من علماء الأصوات، فيُصنَّف الطاء بأنه أسناني لثوي من حيث المخرج(٧)، ولا يختلف الأصواتيون في تحديد مخرجه، غير أنَّ الدكتور غانم قدوري أضاف تفصيلاً للأصوات التي تعرف بالأسنانية اللثوية(٨) عند عامة علماء الأصوات، فجعلها على مخرجين: أسنانية لثوية وهي: السين والصاد والزاي، ولثوية أمامية وهي: الدال والتاء والطاء والضاد(٩). وبهذا يوصف الطاء عنده بأنه صوت لثوي أمامي.

(١) العين، الخليل (٥٨/١).
(٢) ينظر: النشر، ابن الجزري (٢٠٠/١).
(٣) لسان العرب، ابن منظور: مادة (نطع) (٣٥٧/٨).
(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (١٠٣، ١٠٤).
(٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري (١٨٠).
(٦) المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (٢٠٠).
(٧) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٤)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٣١).
(٨) وهذه الأصوات هي: (د، ض، ت، ط، ز، س، ص).
(٩) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٩٥).

ثانياً: صفات صوت الطاء:

أما صوت الطاء عند المتقدمين من علماء العربية والتجويد من حيث الصفات، فهو صوت مجهور شديد مطبق[١]. وقد وصف الخليل الطاء بالصلابة والكزازة فقال: «لأنَّ الدَّال لانَتْ عن صلابة الطَّاء وكزازتها»[٢]، ولعل الصلابة التي وصف الخليل بها صوت الطاء هي القوة التي أشار لها مكي القيسي بقوله: «والطاء من أقوى الحروف؛ لأنه حرف مجهور شديد منطبق مستعلٍ، وهذه الصفات كلها من علامات قوة الحرف مع انفرادها، فإذا اجتمعت في حرف كَمُلَت قوَّته»[٣].

أما الكَزَازَةُ بالفتح أو الكُزُوزَةُ بالضم فكلاهما صحيح، وهي بمعنى الصلابة أيضاً، فهو يفسر اللفظ بردفيه، فيقول الخليل: «الكَزازةُ: اليبس والانقباض. ورجل كَزٌّ: صلب، قليل الخير والمواتاة»[٤]. ويقال: كززت الشيء، إذا ضيقته، فهو مكزوز[٥]. وصوت الطاء يحتاج إلى تضييق للنفس الخارج لتحقيق صفة الشدة في هذا الصوت.

والطاء عند المُحدَثين من علماء الأصوات صوت شديد مهموس مفخم، وهو النظير المطبق للتاء[٦]، فلا تفترق الطاء عن التاء في شيء، غير أنَّ الطاء أحد أصوات الإطباق، أي إنَّ مؤخرة اللسان ترتفع تجاه الطبق عند نطق الطاء، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء[٧].

ومحل الاختلاف بين المتقدمين والمُحْدَثين كما هو ظاهر هو في جهر الصوت وهمسه، فصوت الطاء مجهور عند المتقدمين وأطبقوا على القول بجهره، ومهموس عند المحدثين اتفاقاً أو شبه اتفاق.

---

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤٣٦/٤)، والرعاية، مكي القيسي (١٩٨).
(٢) العين، الخليل (٥٤/١).
(٣) الرعاية، مكي القيسي (١٩٨).
(٤) العين، الخليل (٢٧٢/٥).
(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس: مادة (كز) (١٢٧/٥).
(٦) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٦١، ٦٢)، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب (٢٠٢).
(٧) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٧٥).

وذكر الدكتور كمال بشر ثلاثة احتمالات يمكن تقديمها لتفسير ما ذهب إليه اللغويون في وصفهم الطاء بأنها صوت مجهور:

الأول: يحتمل أن يكون المتقدمون قد أخطأوا في وصف الطاء بالجهر.

والثاني: حدوث تطور في نطق صوت الطاء.

والثالث: من الممكن أنهم كانوا يصفون صوتاً يشبه صوت الطاء الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد، وفي نطق بعض السودانيين اليوم، وهو صوت طاء مشربة بالتهميز[١]. يضاف إلى ذلك احتمال الاختلاف في مفهوم الجهر والهمس بين المتقدمين والمحدثين[٢].

ويرى الدكتور تمام حسان أن سبب هذا الاختلاف في وصف الطاء هو غرابة صوت الطاء على السمع؛ لذلك أخطأ النحاة والقراء، فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدال مقابلاً مرقَّقاً له، يُضاف إلى ذلك أن النحاة والقُرَّاء في القديم قد وضعوا قاعدة قياسية، تقول: إن كل صوت ينتمي إلى أصوات القلقلة فهو مجهور شديد، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر، كالقاف والهمزة[٣].

والطاء كما يصفه الدكتور تمام حسان صوت مهموز اليوم عند البعض[٤]، «ومعنى كون الطاء مهموزة هنا، أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق، فأصبح عنصر الهمز جزءاً لا يتجزأ من نطقها، هذه الطاء مهموسة قطعاً؛ لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر»[٥]. ويُرجِّح تمام حسان أن الطاء العربية الفصحى القديمة التي وصفها القراء كانت في صوتها وفي نطقها بهذا الوصف[٦].

(١) علم الأصوات، كمال بشر (٢٥١، ٢٥٢).
(٢) ينظر: المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (٩٨).
(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٥).
(٤) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٤).
(٥) المصدر نفسه.
(٦) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٥).

أما الدكتور حسام النعيمي فيؤكد أن مفهوم الجهر والهمس عند المتقدمين يختلف عن مفهومه عند المُحدَثين، فإذا كان الجهر والهمس مبنيّاً على اهتزاز الوترين الصوتيين وعدم الاهتزاز عند المُحدَثين، فهو ليس كذلك عند المتقدمين، ومن ثم فلا يصح أن يُحاكَم القدماءُ على وفق المعنى الذي وضعناه لمصطلح وافقناهم فيه في لفظه وخالفناهم في معناه، فضابط الجهر والهمس عند سيبويه جري النفس مع الحرف أو عدمه، فالطاء والقاف والهمزة لا ينطبق عليها ضابط الهمس، فهي إذن مجهورة بضابط القدماء(١).

والقول بأن مفهوم الجهر عند المتقدمين غير مفهومه عند المُحْدَثين فيه نظر؛ وإلا كيف نفسر تطابق الأصوات التي وقع عليها الوصف بين الفريقين؟ سوى مشكلة الطاء والقاف التي وقع فيها الخلاف، تضاف إليهما الهمزة وأمرها هَيّن في تقديري؛ لأن مخرجها الحَنْجَرَة والأوتار الصوتية بالتحديد(٢)، لذلك يقول عبد العزيز الصيغ: «وبالنظر إلى اتفاق الأصوات المجهورة بين القدماء والمُحْدَثين في أكثرها، فإن مفهوم القدماء يتفق مع مفهوم المحدثين من حيث المبدأ»(٣).

وكذلك رجح الدكتور غانم قدوري أن معنى الجهر عند سيبويه يتطابق مع تفسير المُحدَثين له، ويرى أن ذلك يُشير إلى حدوث تغيير في صوت الطاء العربية القديمة، وذلك بفقدانها صفة الجهر، ومن الممكن أن تكون الطاء التي ننطقها اليوم هي شبيهة بالتي سماها سيبويه «الطاء التي كالتاء»(٤) من الفروع غير المستحسنة، وهي تشارك التاء بالهمس وهي أقرب للتاء بفقدانها الجهر والإطباق(٥). وقد فرّ الناطقون فيه من صفة التفخيم(٦).

(١) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٧، ٢٨).
(٢) اختلف المُحْدَثون في جهرها وهمسها، فمنهم من عدها مهموسة، ومنهم من قال بأنها غير مهموسة ولا مجهورة. ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٧)، وعلم اللغة، محمود السعران (١٥٧)، وعلم الأصوات، كمال بشر (١٧٥)، الدراسات الصوتية، غانم قدوري (٢٠٧).
(٣) المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (٩٤).
(٤) الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٢).
(٥) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٧٨).
(٦) التغير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي (١١).

ويفسر عبد القادر مرعي الجهر عند سيبويه بعبارات معاصرة، فيقول: «وإذا حاولنا تفسير كلام سيبويه وعلماء العربية القدماء للجهر... يكون معنى الجهر: صوت لغوي يُسمع بواسطة نشاط الأعضاء الصوتية في مخرج معين، ويزداد أثره السماعي نتيجة التقارب بين عضوي النطق وحدوث الجهر، أي: خروج الهواء حاملاً ذبذبات صوتية أثناء إنتاجه»(١).

وبسبب هذا الاختلاف بين المتقدمين والمُحدَثين راح بعضهم إلى القول بتطور صوت الطاء، وأنَّ الطاء القديمة تخالف الطاء التي ننطق بها الآن، واستنتج الدكتور إبراهيم أنيس من وصف المتقدمين للطاء بأنها كانت صوتاً يشبه الضاد التي نعرفها الآن، وهذا يوضح ما قاله ابن الجزري: «إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة(٢)، فتَطوَّرَ الصوتان، فهمست الطاء القديمة وأصبحت الطاء التي نعرفها الآن، واختلف مخرج الضاد القديمة وصفتها فأصبحت تلك الضاد الحديثة»(٣).

ويذكر برجشتراسر أن الطاء المهموسة التي تُنطق اليوم، وهي مجهورة عند القدماء قد انمحى وتلاشى تماماً نطقها العتيق(٤)، وزاد الدكتور هادي نهر على ذلك فقال: «ونعدم أن نجد أثراً في العربية لطاء مجهورة، ولو كان قبل سيبويه عند العرب طاء تختلف عن طاء اليوم لبقي أثر ذلك في إحدى اللهجات المنعزلة غير المهمة، ويبدو أن الطاء القديمة كانت دالاً مفخمة، كما كانت في السامية القديمة(٥)، أما شاده فيرى أن النطق العتيق للطاء موجود عند سكان جنوب جزيرة العرب، يلفظون الطاء كأنها ضاد المصريين(٦).

(١) المصطلح الصوتي، عبد القادر مرعي (١٠٤).
(٢) ينظر: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري (١٣١/١).
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٦٢).
(٤) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٧).
(٥) ينظر: علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٤٣).
(٦) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، شاده (١٣).

ثالثاً: صوت الطاء «رؤية جديدة»:

بعد هذا العرض لما قيل في وصف الطاء وتحرير محل الخلاف، فالذي يترجح عندي هو حصول اللبس حول صوت الطاء فقيل بتطوره، وليس ثمة تطور لذلك الصوت بين القديم والحديث لأسباب:

أولاً: مخرج صوت الطاء وإن تفاوتت أقوال الأصواتيين قديماً وحديثاً، فإنها تجتمع في زوايا مشتركة كثيرة، إذا استبعدنا وجهة القائلين بأنه من الأصوات «النِّطْعِيَّة»، فمخرج الصوت عند المتقدمين «ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا»[(١)] مما يلي اللثة تحديداً[(٢)]. وهو أسناني لثوي من حيث المخرج عند المُحدَثين[(٣)]. فإننا نلحظ أن زيادة المُحدَثين هو القول بوجود ملامسة للأسنان من اللسان أيضاً، مع الإقرار بملامسة اللسان اللثة أو أصول الثنايا كما سماه المتقدمون، وبهذا نفهم التقارب بين الفريقين.

ثانياً: صوت الطاء من الأصوات التي اتصفت بنوعٍ من الغرابة في السمع كما أشار الدكتور تمام حسان إلى ذلك، وذكر بأن الطاء صوت «مهموز»؛ لذلك أخطأ النحاة والقراء، فجعلوها مجهورة في دراستهم[(٤)]. وهذه الغرابة في الصوت كثيراً ما توهم، وتجعل الأفهام تتفاوت في الحكم عليها بدقة، خصوصاً عندما يُكتَفى بالحس والذوق في التحديد والتوصيف.

ثالثاً: مما يوصف به صوت الطاء هو أنه صوت «مقلقل»؛ أي إنه ينتمي إلى أصوات القلقلة، والقاعدة السائدة عند المتقدمين هي أن أصوات القلقلة شديدة مجهورة، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر، كالقاف والهمزة[(٥)].

---

(١) الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٣).

(٢) ينظر: جهد المقل، المرعشي (٢٧٩).

(٣) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٤)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٣١).

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٥). ومعنى كون الطاء مهموزة هنا، أنَّ الصوت يصحبه إقفال الأوتار الصوتية حين النطق.

(٥) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٥).

رابعاً: من صفات الطاء الأخرى التي تجعل الاضطراب في وصفه محتملاً هو أنه صوت مُطبَق، والإطباق يوحي بالجهر، فهو «تَصَعُّدٌ في اللسان إلى الحنك مع انطباقه عليه»[١]. ويفهم من هذا:

١. أن الإطباق يكون بارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى.

٢. أن الإطباق يحصر الصوت بين اللسان والحنك.

٣. أن اللسان حين يرتفع إلى الحنك الأعلى يكون لصوت الإطباق موضعان من اللسان، أحدهما موضع المخرج، وهو طرف اللسان، وثانيهما موضع التفخيم، وهو مؤخر اللسان المرتفع إلى الحنك الأعلى[٢].

والأصوات المطبقة بعضها أقوى من بعض والطاء أقواها جميعاً وأمكنها[٣]، وعلماء العربية والتجويد عَدُّوا أصوات الإطباق كلها مفخمة[٤]. وهذا التفخيم هو تفخيم كلي في أي سياق تقع فيه، والتفخيم لهذه الأصوات - الصاد والضاد والطاء والظاء - جزء لا يتجزأ من بنيتها، وبه تعرف وتنماز من سائر الأصوات الصامتة، وتشكل لها كياناً خاصّاً بها[٥].

خامساً: وُجِدَ هذا الصوت الفصيح المجهور أو الموحي بالجهر في بعض اللهجات العربية اليوم، لذلك لما وصف محمد حسن حسن جبل صوت الطاء، قال: «الطاء حرف مجهور شديد، مستعل، مطبق مفخم، مصمت يقلقل إذا سكن. وهذا الذي وصفناه هو

(١) قال سيبويه: «وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف». وقال ابن جني: «والإطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى، مطبقاً له». الكتاب، سيبويه (٤٣٦/٤)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (٧٦/١).

(٢) ينظر: المصطلح الصوتي، عبد القادر مرعي (١١٧، ١١٨).

(٣) ينظر: الرعاية، مكي القيسي (١٢٢، ١٢٣).

(٤) ينظر: المصطلح الصوتي، عبد العزيز الصيغ (١٣٤، ١٣٥).

(٥) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٣٩٦).

الطاء الفصحى التي وصفها الأقدمون، ولا يزال أبناء صعيد مصر الأقحاح ينطقونها، وهي تشبه في صداها الضاد المصرية الشديدة»[1].

وهذه الصفات التي تَعْرِضُ للطاء وقت النطق به من قلقلة وتفخيم وإطباق، مع الهمز الذي أشار له الدكتور تمام حسان[2] والغرابة في الصوت كُلُّ تلك السمات جعلت الأقوال تختلف حوله، فيما يخص الجهر الذي قال به المتقدمون، والهمس الذي قال به المُحدَثون.

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل (١٢٤).

(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (٩٤).

المبحث الثالث
صوت القاف بين المتقدمين والمحدثين

أولاً: تحديد مخرج القاف:

صوت القاف (q) من جملة الأصوات العربية التي تَعرَّض لها المتقدمون من علماء العربية والتجويد، بتحديد مخرجها وبيان صفاتها العامة والخاصة، وبذلك يكون الصوت المشار إليه قد حظي بقدرٍ ليس قليلاً من العناية والتدقيق والضبط، للمحافظة على وجوده بصورته الأصلية التي يعرفها العربي، وحمايته من عوامل التطور الصوتي، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بقراءة القرآن الكريم وضبط نطق أصواته.

ومخرج القاف كما قال الخليل: «من بين عُكْدَة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفم»[(١)]، وقال أيضاً: «ثم القاف والكاف لَهَوِيَّتان، والكاف أرفع...، لَهَوِيَّتان؛ لأنَّ مَبْدَأهُما من اللَّهاة»[(٢)]. وقال سيبويه في تحديد مخرج القاف: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف»[(٣)].

ولم تختلف وجهة علماء التجويد عن هذا التحديد، فقد قال مكي القيسي في مخرج صوت القاف: «القاف تخرج من المخرج الأول من مخارج الفم، مما يلي الحلق، من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك»[(٤)]. وقال ابن الجزري: «المخرج الخامس: أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك هو للقاف». وقال شريح: إن مخرجها من اللَّهاة مما يلي الحلق»[(٥)]. وعلى هذا مضت سُنة علماء التجويد المُعاصرين[(٦)].

---

(١) العين، الخليل (٥٢/١).

(٢) المصدر السابق (٥٨/١).

(٣) الكتاب، سيبويه (٤٣٣/٤). وينظر في ذلك تبعاً لسيبويه: المقتضب، المبرد (١٩٢/١)، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٤٦)، وشرح المفصل، ابن يعيش (٥١٦/٥).

(٤) الرعاية، مكي القيسي (١٧١).

(٥) النشر، ابن الجزري (١٩٩/١).

(٦) ينظر مثلاً: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي (٦٦)، والقول السديد في علم التجويد، أبو الوفا (١٤٨)، وغاية المريد في علم التجويد، عطية نصر (١١٩، ١٣٠).

ومخرج القاف عند علماء الأصوات المُحدَثين هو أقصى الحنك، مؤخر اللسان مع اللَّهاة، وبذلك يُسمى الصوت حينئذ لهويّاً، ولا يوجد في العربية صوتٌ يخرج من هذا المخرج غيره. وينطق القاف برفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ليسد المجرى الأنفي، مع رفع مؤخر اللسان حتى يصل باللَّهاة والجدار الخلفي للحلق(١).

وهنا نلحظ دقة التطابق بين تحديد المتقدمين من علماء العربية والتجويد، والمُحدَثين من علماء الأصوات في ضبط مخرج صوت القاف وعلاقته بالكاف، حتى قال الخليل قديماً: «القاف والكاف لَهَوِيَّتان، والكاف أرفع»(٢). وقال سيبويه: «ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»(٣). وقال مكي القيسي: «القاف تخرج... مما يلي الحلق، من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك... وهي قريبة من مخرج الكاف»(٤).

وقال علماء الأصوات المُحدَثون: «لا فرق بين القاف والكاف إلا في أن القاف أعمق قليلاً»(٥). ولهذا التقارب فالقاف والكاف لا يجيئان متّصلان في كلمة واحدة في كلام العرب(٦)، وقال الدكتور أحمد مختار عمر: «والصلة الصوتية بين القاف والكاف أوضح من أن تحتاج إلى تعليق»(٧).

غير أنه مما يلاحظ على بحث سيبويه ومن تبعه - في هذا الباب - ممن جاء بعده تأخير القاف في الترتيب عن الغين والخاء والكاف، مع أن القاف مخرجها عند اللَّهاة،

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٤٨)، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر (٣١٨)، في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان (١٠٥)، ودراسة السمع والكلام، سعد مصلوح (١٧٤، ١٩٢)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٥٤).

(٢) العين، الخليل (٥٨/١).

(٣) الكتاب، سيبويه (٤٣٣/٤).

(٤) الرعاية، مكي القيسي (١٧١).

(٥) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٥٥).

(٦) ينظر: موت الألفاظ في العربية، عبد الرزاق الصاعدي (٤٣٨).

(٧) البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر (٢٢).

ومخرج الثلاثة في الطبق، وهذا راجع إلى أن الدرس الصوتي في عصرنا قد تم بمعية الآلة، وفي ضوء علم التشريح، ولم يتأت ذلك للقدماء(١).

ثانياً: القاف بين الجهر والهمس:

القاف صوت شديد مجهور كما قرر ذلك المتقدمون من علماء العربية والتجويد(٢)، وهو شديد - انفجاري - مهموس شبه مفخم في توصيف المحدَثين(٣)، بمعنى لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، وحين يُطلق سراح مجرى الهواء يتألف الصوت مُحدِثاً انفجاراً مسموعاً، ويتصف هذا الصوت بأنه أحد الأصوات الثلاثة شبه المفخمة أو شبه الإطباقية، وهي: القاف والخاء والغين(٤).

ومن هنا يتبين أن الخلاف بين المتقدمين من علماء العربية والتجويد وبين المُحدَثين من علماء الأصوات هو في تحديد صفة الهمس والجهر للقاف، فهو مجهور عند المتقدمين، مهموس عند المحدثين.

وبسبب هذا الخلاف قال علماء الأصوات المُحدَثون بتطور صوت القاف(٥)، وقال بعضهم استنتاجاً: إنَّ المتقدمين وصفوا القاف بالجهر؛ لأنهم كانوا يقصدون

(١) علم الأصوات التطبيقي، هادي نهر (٢٨، ٢٩).

(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٤)، والرعاية، مكي القيسي (١٧١)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (١/٢٨٧)، والنشر، ابن الجزري (١/٢٠٢).

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٢)، ودراسة السمع والكلام، سعد مصلوح (١٩٢)، والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل (١٧٩).

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٢)، والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل (١٧٩). والمقصود بشبه المفخمة أو شبه الإطباقية هو أنها لا تفخم إلا في بعض السياقات، فهو تفخيم (phonology)، وقد أدرج المتقدمون صوت القاف في زمرة أصوات الاستعلاء، وذلك أنها حروف اتصلت من اللسان بالحنك الأعلى. ينظر: الكتاب، سيبويه (٤/١٢٨)، والمقتضب، المبرد (٣/٤٦)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (١/٢٢١)، والنشر، ابن الجزري (٢/٨٣).

(٥) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٦، ١٧)، ودروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٧)، وعلم الأصوات، برتل مالمبرج (١٢٦).

الكاف المجهورة، المعروفة بالجيم القاهرية اليوم[١]. وذهب البعض إلى أنَّ الوصف الذي حدده المتقدمون ينطبق على صوت يشبه صوت الغين، كأنه قاف مجهورة، وهو مسموع اليوم في السودان وبعض أنحاء العراق[٢].

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس واصفاً هذا التطور، ومبيناً العجز عن فهم حقيقة الصوت المجهور الذي وصفه المتقدمون: «وقد تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطوراً ذا شأن، لا نستطيع معه أن نؤكد كيف كان ينطق بها الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى»[٣].

ويرى بعض علماء الأصوات أن نطق القاف القديم لا يزال باقياً عند بعض البدو[٤]. وقد رويت في صوت القاف لهجة في نطق المتقدمين شبيهة بالصوت (g) في الإنجليزية كما يقول الدكتور محيي الدين رمضان، ولم تزل في بلاد كثيرة كشمال الجزيرة العربية وأكثر المناطق البدوية، وهذه لهجة أكثر أهل الأردن، وصعيد مصر[٥].

وعلى بقاء الصوت المجهور في بعض النطق العربي يؤكد برجشتراسر قائلاً: أما القاف فهي في العادة مهموسة اليوم، لكنها مجهورة عند القدماء، كما هي الآن عند بعض البدو[٦]. ويفسر ذلك الدكتور حسام النعيمي بقوله: «والذي يتجه لي في هذا أن برجشتراسر أراد بالقاف العتيقة المجهورة... الكاف المجهورة، أي صوت (گ)»[٧].

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٣)، وأصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٩).
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٢)، والمختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل (٩٣)، وعلم الأصوات النطقي، هادي نهر (٤٣).
(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٢).
(٤) ينظر: علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٤٣).
(٥) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان (١٠٥).
(٦) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٦).
(٧) أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٦).

ويقول برتيل مالمبرج مُشيراً إلى نطق القراء بالتحديد: ذكر القدماء وإمامهم سيبويه أنَّ القاف من بين الأصوات المجهورة، لذلك فالصوت قد تعرض للهمس خلال القرون، وصار ينطق بوصفه الجديد مهموساً عند قراء القرآن، وهو المقياس المثالي لسلامة النطق الحرفي للفصحى(١).

وينقل الدكتور سمير استيتية الإجماع على أن الصوت الذي نسمعه على ألسنة القُرَّاء صوت مهموس، فيقول: «وأما القاف كما ينطقها المجيدون من قراء القرآن الكريم في هذه الأيام، فلا خلاف بين علماء الأصوات على أنها صوت مهموس، وأما لماذا وصفها علماء العرب بأنها مجهورة، فيحتمل أنهم كانوا ينطقونها على نحو مشابه للصوت الذي يرمز إليه بالرمز (G) وهو مفخم صوت الجيم القاهرية»(٢).

واستبعد الدكتور غانم قدوري كون سيبويه وصف الصوت المعروف بالجيم القاهرية اليوم؛ لأنه قد حدد مخرج القاف من نقطة هي أعمق من النقطة التي تخرج منها الكاف، ومن غير المحتمل أن يغيب عن سيبويه أنَّ الكاف المجهورة تخرج من نفس موضع الكاف المهموسة(٣).

كما أنه من غير المعقول أن يغيب عن نظر علماء العربية والتجويد تقارب نطق القاف والغين، خصوصاً أنَّ سيبويه وصف القاف بالشدة، وبعيدٌ ألَّا يفطن لرخاوة ذلك الصوت، وقد وصف الغين بالرخاوة(٤).

ومع شبه الإجماع بين علماء الأصوات المُحدَثين على القول بتطور صوت القاف إلا أن الدكتور حسام النعيمي يرى أنْ لا تطور في الصوت مطلقاً، وأنَّ القاف صوت لهوي شديد مجهور وفق ضابط الجهر عند المتقدمين، وهو عدم جريان النفس عند إخفاء الحرف وترديده(٥).

(١) ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرج (١١٢).
(٢) الأصوات اللغوية، سمير استيتية (١١٠).
(٣) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٨٠).
(٤) ينظر: المصدر السابق (٢٨١).
(٥) ينظر: أصوات العربية بين التطور والثبات، حسام النعيمي (٢٩).

وفي هذه الوجهة نظر؛ إذ كيف يختلف المفهوم بين المتقدمين والمُحدَثين، ونتائجهم تكاد تكون شبه متفقة، فيما لو استبعدنا الخلاف الدائر حول صوتين أو ثلاث، فاتفاق نتائج ملحوظتهم يومئ باتحاد المفهوم، إلا أنه - على ما يبدو - ثمة خلل أو وهم في رؤية أحد الطرفين، ونسبته للملاحظة والذوق أقرب في العقل وأبعد عن رصد الآلة المستعان بها اليوم في تحديد مخارج الأصوات وبيان صفاتها.

ثالثاً: صوت القاف «رؤية جديدة»:

بعد التأمل في كلام المتقدمين والمُحدَثين حول صوت القاف وما يتعلق بجهر الصوت وهمسه على وجه الخصوص، فإنني أميل إلى القول بأنَّ المتقدمين لم يضبطوا تحديد صفة القاف بدقة، وذلك فيما يتعلق بصفة الهمس والجهر تحديداً، فذروة تحقيقهم في هذا الباب هو الملاحظة والذوق والحس، وهذا منتهى ما كانوا يمتلكونه في بحثهم، وقد أجادوا وأبدعوا بلا شك، إلا أن بعض الزوايا الصوتية - ومنها المتعلقة بصوت القاف - تتطلب مراعاةً أدق، وتفتقر إلى فحص أكبر، وهذا ما سمح به علم الأصوات الحديث، فتحديد صفات الأصوات في عصرنا يتم بمعية الأجهزة والآلات الصوتية وفي ضوء علم التشريح، ولم يكن ذلك متاحاً للقدماء بهذه الدقة، وعلى هذا فالأمر غير متعلق بالتطور في ذات الصوت، ولا حاجة للقول: إنهم كانوا يصفون صوتاً آخر، إنما غاية الأمر هو خلل في دقة التوصيف، ولعل سبب قولهم بأنَّ القاف صوت مجهور ما يأتي:

أولاً: قوة صوت القاف ونصاعته وضخامة جرسه، واشتماله على جرس خاصٍّ أدى هذا التميُّز مع القوة في الصوت إلى وقوع التوهُّم في وصف الصوت بالجهر، فالقوة في الصوت والوضوح السمعي هي من أهم علامات الجهر الظاهرة عند المتقدمين[1] وعند المُحدَثين أيضاً[2]، والقاف يمتلك نوعاً من هذه القوة التي تُميِّز الصوت المجهور،

(١) يقول مكي القيسي: «الحروف المجهورة هي أقوى من المهموسة.. وبعضها أقوى من بعض، على قدر ما فيها من الصفات، ومعنى الحرف المجهور أنه حرف قوي». الرعاية، مكي القيسي (١١٦، ١١٧).

(٢) يقول سمير استيتية: «إننا لا ننكر حقيقة مؤداها أن الأصوات المجهورة أكثر وضوحاً من الأصوات المهموسة». ويقول هادي نهر: «إن الأصوات المجهورة أقوى جرساً من المهموسة». الأصوات اللغوية، سمير استيتية (١٧٠، ١٧٣)، وعلم الأصوات النطقي، هادي نهر (٣٣).

لذلك يقول الخليل: «ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا»(١).

يضاف إلى ذلك صفة الشدة في صوت القاف، وهي مصدر قوة أيضاً للصوت(٢). لذلك فإن كثيراً من النحويين الأوربيين يذهبون إلى أن في نطق القاف شدة ثانية مصاحبة للشدة الأولى، تحصل بغلق رأس قصبة الرئة(٣).

ومن هنا فإن الدكتور غانم قدوري يرى أنَّ سبب الوهم عند سيبويه ما في صوت القاف من ضخامة ونصاعة وقوة، تجعل كثيراً من المبتدئين بدراسة الأصوات في زماننا يتوهمون كونه مجهوراً، وكذلك صعوبة أو استحالة نطق صوت شديد مجهور من مخرج القاف، على نحو ما يمكن مع صوت الكاف(٤).

ثانياً: للجهر مصدران للتصويت(٥):

الأول: صوت الحَنْجَرَة الناتج عن ذبذبة الوترين الصوتيين.

والثاني: مخرج الصوت عندما يضيق مجرى النفس أو يغلق. والثاني من المصادر التصويتية موجود في نطق صوت القاف، فإنه يُنطق برفع مؤخر الطبق، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، مع رفع مؤخر اللسان حتى يصل باللَّهاة والجدار الخلفي للحلق(٦).

---

(١) العين، الخليل (٥٣/١). ولمزيد بسط وتفصيل حول قضية القوة والضعف في الأصوات. ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرج (١٠٧)، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري (٢٨٠ - ٢٨٤).

(٢) يقول مكي القيسي: «والشدة من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء، فذلك غاية القوة في الحرف؛ لأن كل واحدة من هذه الصفات تدل على القوة في الحرف». الرعاية، مكي القيسي (١١٧، ١١٨).

(٣) ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٧).

(٤) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري (٢٨١، ٢٨٢).

(٥) ينظر: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، محمد يحي (٧٣).

(٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر (٣١٨)، ودراسة السمع والكلام، سعد مصلوح (١٧٤، ١٩٢)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٥٤).

ولذلك لما وصف بروكلمان صوت القاف قال فيه: «صوت مهموس ذو نطق مهموز شديد»(١)، وعبَّر جان كانتينو عن هذا النطق المهموز بقوله: «إنَّ شدة هذا الحرف ليست كاملة؛ ولذلك كان نطق القاف مصحوباً بصوت خاص»(٢).

زيادة على ذلك فإن جان كانتينو الذي جعل احتمال تطور الصوت وارداً، راح يُفسر كلام سيبويه، ويورد له الاحتمالات التي حملته على القول بجهر القاف، فيقول في كيفية نطق القاف: إنَّ أصل اللسان ينطبق على غشاء الحنك، ولما كان هذا الغشاء رخواً نتج عن ذلك أنَّ شدة هذا الصوت ليست كاملة، ولذلك كان نطق القاف مصحوباً بصوتٍ خاص، وقد رتب سيبويه والزمخشري القاف في عداد الأصوات المجهورة، مع أنَّ نطقه الفصيح اليوم مهموساً(٣).

ومع هذه السمات التي امتاز بها صوت القاف من القوة والشدة والهمز كما سماه بروكلمان لكنها ليست كافيةً لإطلاق صفة الجهر على القاف - وإن كانت موهمة به -؛ لعدم اهتزاز الوترين الصوتيين حال النطق بالصوت، واهتزاز الوترين الصوتيين هو الحاسم في التفريق بين الصوت المجهور والصوت المهموس عند المُحدَثين(٤).

ثالثاً: اختبار الصوت والتمثيل له أحياناً في سياقات صوتية مختلفة يجعل الصوت متذبذباً بين صفتي الجهر والهمس؛ وذلك بتأثير طاقة الإجهار والإهماس بالأصوات المصاحبة لنطقه، فـ «من الأصوات ما ينتقل من حالة الجهر إلى الهمس وعلى العكس تحت تأثير الأصوات المجاورة، أو حسب موقع الصوت من البنية أولاً أو وسطاً أو آخراً»(٥).

(١) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان (٣٩).
(٢) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٦، ١٠٧).
(٣) ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٦، ١٠٧).
(٤) يقول رمضان عبد التواب: «ينظر إلى اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها، فالأصوات التي تهتز معها الأوتار الصوتية وتتذبذب، يسميها علماء الأصوات بالأصوات المجهورة، أما تلك التي لا تهتز معها الأوتار الصوتية، فتسمى عندهم بالأصوات المهموسة». ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (٣٦).
(٥) علم الأصوات النطقي، هادي نهر (٣٣، ٣٤).

وفي نطق القاف شبيهة بالصوت (g) الإنجليزي يقول الدكتور محيي الدين رمضان: «وتعليل ذلك يرجع إلى صوت الحركة، ولا سيما إذا كانت كسرةً أو فتحة ممالة كما هو ظاهر في لهجة البدو، وفي لفظ قراء القرآن الكريم اليوم»(١).

وأشير إلى أن المتقدمين يختبرون الأصوات ويحددون مخرجها ويلاحظون صفاتها بنطق الحرف ساكناً مسبوقاً بهمزة وصل(٢)، وهذا ما يجعل الصوت مقلقلاً بشدة؛ لذلك نبه بعض الباحثين إلى ضرورة التحرز من هذه الطريقة في الاختبار، فقال الدكتور إبراهيم أنيس في ذلك: «يجب الاحتراز من الإتيان بألف وصل قبل الصوت، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات؛ لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة»(٣).

ويذكر المحدثون من علماء الأصوات، أنه لاختبار جهر الصوت، يمكن أن تجري إحدى التجارب الآتية(٤):

١. حين تضع الإصبع فوق تفاحة آدم(٥)، ثم تنطق بصوت من الأصوات وحده، مستقلاً عن غيره من الأصوات، ولا يتأتى هذا إلا بأن نشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمى السكون، مثل (ب). فإذا نطقنا بالصوت وحده، وكان من المجهورات، نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين، شعوراً لا يحتمل الشك.

(١) في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان (١٠٦).

(٢) قال المهدوي: «فإذا أردت معرفة حقيقة المخرج من الفم وغيره، فإنما تنطق بالحرف ساكناً، وتدخل عليه همزة الوصل، فتقول: ان، ام، فيظهر لك مخرج الحرف من الفم وغيره، وكذلك تعتبر سائر الحروف»، وهذه الطريقة في تحديد المخارج من ابتكار الخليل، قال الليث وهو يحكي صنيعه في ذوق الحروف: «وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: اب، ات، اح، اع، اغ» «وتقوم هذه الطريقة على أمرين: الأول: نطق الحرف ساكناً. والآخر: اجتلاب همزة وصل قبله». ينظر: شرح الهداية، المهدوي (٨٠/١)، والعين، الخليل (٤٧/١).

(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٢٣). وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري (٢٠٧)، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٣٧).

(٤) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب (٣٦، ٣٧).

(٥) تفاحة آدم: هي بروز غضروفيّ ناتئ أعلى الرقبة، يتحرّك أثناء البلع. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (٥٠/١).

٢. وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا، ثم ننطق بالصوت المجهور، وهو وحده مستقلًّا عن غيره، نحس برنة الصوت في رؤوسنا. وفي ذلك يقول فندريس: «وإذا راعى الإنسان أن يسدَّ أذنيه عند النطق، فإنه عندما يصل إلى المجهورة، يسمع الرنين الذي تنشره الذبذبات الحنجرية في تجاويف الرأس»(١).

٣. والتجربة الثالثة هي أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت، موضع الاختبار، فيحس برنين الصوت، وذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين.

رابعاً: صوت القاف هو من أصوات القلقلة(٢) أيضاً، ولعل لهذه الصفة التي تطرأ على صوت القاف دوراً كبيراً في وصف الصوت بالجهر، فالقلقلة صوت إضافي لاحق، وقد لاحظ النحاة أن هذا الصوت الإضافي يختلف درجةً باختلاف المتكلمين، وقد حُكِيَ أن بعض العرب كانوا يخرجونه أشد عنفاً من غيرهم، وهذا الصوت الإضافي في حالة ما سماه نحاة العرب (حروف القلقلة)، فالرأي أنه غير مهموس؛ أي ليس نفساً، وبذا يمكن القول: إنَّ الصوت الإضافي في حالة (حروف القلقلة) يشبه بالحركة، أي: بالصَّائت القصير، ومن البديهيَّات أن الصوائت مجهورة، والأرجح أن يكون هذا الصوت الإضافي صوتاً صائتاً مركزيّاً ضعيفاً(٣).

ولهذا فإن الدكتور تمام حسان يقول: «قد مر بنا أن هذا الصوت - القاف - من أصوات القلقلة، وأن النحاة والقراء قد أخطأوا في اعتباره مجهوراً لهذا السبب»(٤). وقال أيضاً: «إنَّ النحاة، والقراء في القديم قد وضعوا قاعدة قياسية، تقول: إن كل صوت ينتمي إلى أصوات القلقلة هو صوت مجهور شديد، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر، كالقاف والهمزة»(٥).

---

(١) اللغة، فندريس (٥١).

(٢) وحروف القلقلة خمسة وهي: (ب ج د ط ق). ينظر: الكتاب، سيبويه (١٧٤/٤)، والرعاية، مكي القيسي (١٢٤)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (٧٧/١)، والنشر، ابن الجزري (٢٠٣/١).

(٣) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران (١٣٥).

(٤) مناهج البحث في اللُّغة، تمام حسان (٩٦).

(٥) المصدر السابق (٩٥).

فنلحظ أنَّ بعض أصوات القلقلة اتسمت بقوتها في النطق؛ لامتلاكها صفتي الشدة والجهر في أكثرها، وإضافة صُوَيْتٌ لها في أثناء الوقوف عليها ساكنة[١]، ووجود صوت القلقة بعد الحروف الخمسة، يحتّم أن يكون الفم مخرج الهواء حين الانفجار، الذي نسميه الشدة، والذي هو خاصة من خواص النطق بأصوات هذه الحروف[٢].

فالقلقلة صوت يشبه النبرة عند الوقف على عدد من الأصوات - منها القاف - وإرادة النطق بهن، وذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل، وقيل: أصل هذه الصفة للقاف؛ لأنه حرف ضُغط عن موضعه، فلا يقدر على الوقف عليه إلا مع صوت زائد لشدة ضغطه[٣]. وقد قال فيها سيبويه: «واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صُوَيْتٌ ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء»[٤].

أما ابن جني فقد أشار إلى هذا النوع من التصويت بقوله: «واعلم أن في الحروف حروفاً مشربة، تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها»[٥]، وكشف عن كنهها بتعبير آخر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، حين قال: «والقلقلة ما تحسن به إذا وقفت عليها من شدة الصوت المتصعد من الصدر مع الحفز والضغط»[٦].

وعلى هذا فالقلقلة: «إضافة صُوَيْتٍ إلى أصوات (قطب جد) أثناء الوقوف عليها في حالة السكون، ويظهر هذا الصُّوَيْتُ على شكل انفجار من الفم»[٧]. ويلاحظ أن المحدَثين قد اتفقوا هم وعلماء العربية القدماء في معنى القلقلة، مع اختلافهم في

(١) ينظر: مفهوم القوة والضعف، محمد يحيى (٨٤، ٨٥).
(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (١٤٩).
(٣) الرعاية، مكي القيسي (١٢٤).
(٤) الكتاب، سيبويه (١٧٤/٤).
(٥) سر صناعة الإعراب، ابن جني (٧٧/١).
(٦) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٤٧).
(٧) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء، عبد القادر مرعي (١٢٢).

عدد هذه الأصوات، إلا أن المحدثين ركزوا على جانب الشدة أو الانفجارية في هذا الصوت، على الرغم من أن القدماء قد أدركوا هذه الصفة في هذه الأصوات(١).

والقاف التي أخطأ المتقدمون في وصفها بالجهر هي صوت مهموس ضعيف وفق هذا المعيار، فكان ينبغي أن يُدرك ذلك بالحس، لكن هذا الصوت مع همسه قد مُنح صفة أخرى أضفت عليه قوةً عَوَّضتْ - كما يبدو - عن صفة الجهر المظنونة فيه، وهي صفة القلقلة، لذلك ظنوه مجهوراً من هذا الوجه، فالقلقلة: اضطراب الحرف وتحركه بحركة عند النطق به وهو ساكن حتى يسمع له نبرة قوية(٢).

وقد مرَّ قول سيبويه حين سمى القلقة «صويتاً»، وعبَّر عنها مكي بالنبرة، وفسرها ابن جني بالتحفيز للصوت حال الوقف، ووصفها الزمخشري بالصوت المتصعد من الصدر، وهذا التوصيف المتعدد للعارض على صوت القاف ربما يكون سبباً آخر، حمل المتقدمين على وصف القاف بالجهر.

يضاف إلى ذلك أن القاف صوت مفخم سياقيّاً، وقد حرص العرب على تفخيمها كما تحكى في مثل: قام، قاد، قاس(٣). والتفخيم هو الآخر أثر سمعي ينتج عن عوامل فسيولوجية متداخلة، ندرك منها عاملين مهمين:

الأول: ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك - الحنك اللين - فيحدث تغيّر في التجويف الفموي، محدثاً رنيناً مسموعاً.

والثاني: رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع، مما يحدث له في أثناء النطق بالأصوات المرققة، فكأن للتفخيم جانبين: جانباً عضوياً وهو موضع اللسان وما يتبعه في الفم، وجانباً سمعياً ذا خاصية مميزة، وبهذا يمكن أن نحسب للصوت المفخم

(١) ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء، عبد القادر مرعي (١٢٢)، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ (١٥٧).
(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح (٢٨٣).
(٣) ينظر: في صوتيات العربية، محي الدين رمضان (١٠٦)، وعلم الأصوات، كمال بشر (٤٠٢).

موضعين من النطق: موضع نطقه الأصلي مصاحباً بالوضع الثاني وهو موقع اللسان عند النطق به[١].

خامساً: إجماع القراء المجيدين لنطق القرآن الكريم على نطق واحد للقاف اليوم، يُبعد في العقل افتراض القول بتطور الصوت، خصوصاً عندما نعلم طريقة تلقي القرآن وكيفية أخذ اللاحق عن السابق، ومن البعيد أيضاً تصور التواطؤ بين هؤلاء القراء مع اختلاف الأمصار على نطق واحد مخالف للنطق العتيق، لذلك يقول الدكتور حسام النعيمي: «وهذه القاف - المقروء بها اليوم - هي التي ترجح لدينا أنها القاف العربية القديمة؛ لأنه لا يتصور أن يُجمِع قراء القرآن في كل بلاد الإسلام على هذا الصوت، وهم يتلقون القراءة مشافهة من جيل إلى جيل، ثم نزعم أنه ليس الصوت القديم»[٢].

سادساً: إن هذا الخلاف الدائر حول همس القاف وجهره لا يبعد معه أن يكون الصوت مشرباً بالجهر وليس مجهوراً، وهذا يفسر إقرار كثير من علماء الأصوات بوجوده مجهوراً اليوم في بعض اللهجات العربية، حتى مع إيمانهم بتطور الصوت عن الأصل في النطق الغالب، فيقول برتل مالمبرج: «القاف صامت لهوي انفجاري مهموس مفخم، كان الناس قديماً ينطقونه مجهوراً، وما زال الناس في بعض اللهجات العربية ينطقونه كذلك»[٣]. ويقول جان كانينو: «وبما أن قسماً كبيراً من الألسن الدارجة العربية ينطق أصحابها بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح بأن القاف كان فعلاً حرفاً مجهوراً في العربية القديمة»[٤].

(١) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر (٣٩٤). على أن صوت القاف مع الغين والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء تسمى حروف الاستعلاء عند المتقدمين. ينظر: النشر، ابن الجزري (٨٣/٢).

(٢) أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٦).

(٣) علم الأصوات، برتل مالمبرج (١٢٦).

(٤) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو (١٠٧). وينظر: التطور النحوي، برجشتراسر (١٦ - ٢٠).

ومما أشكل عليَّ في هذا الباب قول الشيخ محمد حسن حسن جبل حين يقول: «وقد هديتُ إلى نُطق القاف الفصحى قصوية شديدة مستعلية مجهورة، حسب ما وصفها القدماء، وأمارسه وأعلمه تلاميذي، ويتوفر فيها بهذا النطق كل ما قاله الأقدمون ولله الحمد والمنة»(١).

فهو إما أن يكون بذلك قد خالف نطق جماهير قراء الأمة اليوم، الذين ينطقون القاف مهموسة، وهذا هو المعروف من مشاهير قراء العراق والشام والجزيرة العربية وبلاد المغرب، وقد أقرَّ بذلك هو حين قال: «فقاف القراء الحديثة مهموسة فقدت صفة الجهر»(٢)، وهذه المخالفة لا يعتد بها، ولا هي مستحسنة في باب القراءة والإقراء، فالقُرَّاء في كل الأمصار قد أخذوا القرآن مشافهة، وهم مجمعون على صوت واحد بلا نكير، فكيف يخالف الشيخ جماهير القراء؟ ومن أيِّهِم أخذ القراءة؟! أو لعل الشيخ - وهو الأقرب - قد أشكل عليه أيضاً التمييز بين الجهر والهمس في هذا الصوت بالتحديد، كما أشكل على المتقدمين لغرابة نطقه وصعوبة تمييزه بصفة الجهر والهمس.

وقد رصد الدكتور إبراهيم أنيس هذا التفاوت النطقي فقال: «فالقاف في القراءات القرآنية بين المتكلمين باللغة العربية نطقان: أحدهما مهموس، وهو الأكثر شيوعاً، والآخر مجهور»(٣).

أما الدكتور حسام النعيمي فله تفسير خاص لمعنى الجهر عند المتقدمين، لذلك نجده يقول: «صوت القاف... صوت لهوي شديد مجهور على وفق معنى الجهر عند القدماء»(٤)، ويؤكد أن الصوت لم يدخله تغيير في الفصيح، وهو مجهور على وفق ضابط

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل (٩٤).
(٢) المصدر السابق (٩٣، ٩٥).
(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (٨٣).
(٤) أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٧٢).

الجهر الذي وضعه القدماء وهو عدم جريان النفس عند إخفاء الحرف وترديده، فقُرَّاء القرآن اليوم مجمعون على نطق واحد، على أن الصوت قد تقدم في لهجات بعضهم، وتأخر في لهجات الآخرين، وجاء مهموساً عند قوم، مجهوراً عند آخرين(١).

فالجهر في القاف عند النعيمي مقبول، على أن الجهر عند المتقدمين مختلف في معناه عما هو عليه عند المحدثين وإن كان بلفظ واحد، فهو عند المتقدمين تابع لتوقف النفس مع النطق بالحرف، فإذا منع النفس من الجريان حتى ينتهي النطق بالحرف كان مجهوراً، وبهذا الضابط الذي لم يكونوا يملكون غيره فرقوا بين المجهور والمهموس(٢).

وقد عرض الدكتور إبراهيم أنيس لتعريف سيبويه للمجهور، ثم قال: «هذا هو التعريف الذي وقف أمامه علماؤنا القدماء حائرين، قانعين بترديد ألفاظه بنصها دون شرح واضح»(٣). وبيَّن أنيس أن هذه القيود يمكن فهمها على وجه لا يختلف عن تفسير المحدثين للجهر، وذلك أن معنى «قوة الاعتماد» أو «إشباع الاعتماد» هو أن الصوت متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، فالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس(٤). أما «منع النفس من الجريان» فهو شعور باقتراب الوترين الصوتيين حتى ليكادان يسدان طريق النفس. وهذا ما أشار إليه المُحدَثون(٥).

ثم إن الأصواتيين اليوم يُجمعون على أنَّ المتقدمين لم يكونوا على علم بالأوتار الصوتية التي من خلالها تُحدد صفتي الجهر والهمس وفق معطيات الدرس الصوتي الحديث، وبالتالي فإنَّ أسلافنا قرروا ما قرروا وقد أجادوا كثيراً اعتماداً على الذوق

(١) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، حسام النعيمي (٢٩، ٣٠).
(٢) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام النعيمي (٣١٢، ٣١٣).
(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (١١٧).
(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (١١٧).
(٥) ينظر: المصدر السابق (١١٨).

والملاحظة فحسب، في تقرير صفة القاف وعموم المجهور والمهموس، وهم وإن نجحوا في أكثر الأصوات، فليس ببعيد أنهم أخفقوا في تحديد همس هذا الصوت، خصوصاً إذا علمنا أنَّ للصوت صفة مفردة تزيد من قوته، وتُلحقه صويتاً خفيفاً، قد تضيع معه ملاحظة صفة الهمس، فيُعتقد جهره.

أخيراً أقول: إنَّ كل هذا البحث، وتلك المناقشة والجمع، الغاية منها الوصول إلى نتيجة واحدة، كنت قد آمنت بها ولو اضطرب الفكر فيها حيناً، وهي أن تلك الأصوات القرآنية محفوظة على وجهها الذي نزلت به، وينطقها معشر القُراء المُجِيدِين اليوم على ذاك الوجه الذي نزل به القرآن على نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبه قرأ وأَقرأ، مع اختلاف التعليل في محل الخلل الذي ظهر بين المتقدمين من علماء العربية والتجويد وبين علماء الأصوات المُحدَثين في تحديد وتوصيف صوت القاف وسابِقَيه.

الخاتمة

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والشكر له على عظيم المنة وكبير الفضل، وبعد تمام البحث بتوفيق الله وعونه، أود أن أسرد أبرز النتائج التي خَلُص إليها البحث:

أولاً: رصد البحث الأقوال التي ذكرت حول الأصوات الثلاثة قديماً وحديثاً، محرراً محل الخلاف بينها، والخروج برؤية جديدة حول كل صوت من هذه الأصوات.

ثانياً: قرر البحث أنَّ القول بتطور الأصوات التي عليها مدار البحث مجرد دعوى، تفتقر لمزيد من النظر والبيان والتأمل، وليست مُسَلَّمة من المُسَلَّمات العلمية الصوتية كما يُفهم من كلام علماء الأصوات المُحدَثين حول هذه الأصوات.

ثالثاً: إن اللبس الذي تُحدثه غرابة الصوت يجعل ذلك الصوت قابلاً لتفاوت الأقوال في صفاته وتحديدها، وليس بعيداً أن يؤدي ذلك اللبس إلى الوقوع في الخطأ كما جاء في صوت الطاء.

رابعاً: لقد كان للصفات المفردة أثر واضح في اضطراب الأقوال حول الصوت المعين، والتوهم بتطوره، والإيمان بفكرة انعدام النطق الأصلي العتيق لذلك الصوت، كما جاء في صفة الاستطالة المتعلقة بصوت الضاد.

خامساً: مما اتضح في البحث هو أن الصفات الخاصة تؤثر في حسم القول في صفة بعض الأصوات كالقلقلة الموهمة بالجهر وكذا الإطباق والتفخيم والاستعلاء.

سادساً: إنَّ المتقدمين من علماء العربية والتجويد قرروا ما قرروا في ميدان الأصوات من تحديد مخارج الأصوات وصفاتها اعتماداً على الذوق والملاحظة فحسب، وقد أجادوا وأبدعوا بلا شك، إلا أن بعض الزوايا الصوتية - ومنها المتعلقة بالأصوات الثلاثة - تتطلب مراعاة أدق، وتفتقر إلى فحص أكبر، وهذا ما سمح به علم الأصوات الحديث، فتحديد صفات الأصوات في عصرنا يتم بمعية الأجهزة والآلات الصوتية وفي ضوء علم التشريح، وقد كان لمنهج الملاحظة المحضة والاعتماد على الذوق أثر في وقوع الوهم وعدم الدقة في تقرير بعض النتائج التي تخص هذه الأصوات.

سابعاً: إدخال اللسان في تحديد مخارج الأصوات واعتماده حيناً وإهماله حيناً آخر يوقع الوهم والتشتت، فاللسان عضو مرن متحرك يشترك في إنتاج وصناعة كثير من الأصوات؛ لذا فإن اعتماده في تحديد مخارج الأصوات يوصل إلى نوع من الاضطراب، والاقتصار على أجزاء الحنك الأعلى في نسبة الحروف إليها أميز في الاصطلاح، وأدق في التوصيف.

ثامناً: اختبار الصوت الواحد في سياقات صوتية مختلفة يجعل الصوت متذبذباً بين صفتي الجهر والهمس؛ وذلك بتأثير طاقة الإجهار والإهماس المصاحبة لنطقه، فمن الأصوات ما ينتقل من حالة الجهر إلى الهمس وعلى العكس تحت تأثير الأصوات المجاورة، أو حسب موقع الصوت من البنية أولاً أو وسطاً أو آخراً.

فهرس المصادر والمراجع

- **إبراز المعاني من حرز الأماني**: شهاب الدين أبو شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية.
- **ارتشاف الضرب من لسان العرب**: أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، ومراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- **أصوات العربية بين التحول والثبات**: حسام سعيد النعيمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة (٤)، بغداد (١٩٨٩م).
- **أصوات اللغة**: عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكسلاني، الطبعة الثانية (١٩٦٨م).
- **الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية**: سمير شريف استيتية، دار وائل، عمَّان، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م).
- **الأصوات اللغوية**: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية (٢٠٠٧م).
- **الأصوات اللغوية**: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
- **الأصول في النحو**: ابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- **البحث اللغوي عند العرب**: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الثامنة (٢٠٠٣م).
- **البديع في علم العربية**: ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
- **التطور النحوي للغة العربية**: برجشتراسر، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية (١٩٩٤م).
- **التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية**: آمنة صالح الزعبي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، إربد (٢٠٠٥م).

- **التمهيد في علم التجويد**: ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).
- **جهد المقل**: محمد بن أبي بكر المرعشي (ت: ١١٥٠هـ)، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**: حسام النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية (١٩٨٠م).
- **دراسات في علم اللغة**: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- **دراسات في فقه اللغة**: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان (٢٠٠٩م).
- **دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك**: سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- **دراسة الصوت اللغوي**: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- **دروس في علم أصوات العربية**: جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية (١٩٦٦م).
- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، تحقيق: أحمد حسن فرحات.
- **سر صناعة الإعراب**: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى (١٩٨٥م).
- **شرح المفصل**: ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **شرح الهداية**: أحمد بن عمار المهدوي (ت نحو: ٤٤٠هـ)، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

- **شرح شافية ابن الحاجب**: الأستراباذي (ت: ٧١٥هـ)، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**: محب الدين النويري (ت: ٨٥٧هـ)، تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **شرح كتاب سيبويه**: أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).
- **العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي**: هنري فليش، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر.
- **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**: سمير شريف استيتية، دار وائل، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠١٢م).
- **علم الأصوات النطقي دراسات وصفية تطبيقية**: هادي نهر، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- **علم الأصوات عند سيبويه وعندنا**: محاضرات للمستشرق شاده، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية (١٩٣١م).
- **علم الأصوات**: برتل مالمبرج، تعريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة (١٩٨٥م).
- **علم الأصوات**: كمال بشر، دار غريب، القاهرة (٢٠٠٠م).
- **علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي**: محمود السعران، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت.
- **العين**: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- **غاية المريد في علم التجويد**: عطية قابل نصر، القاهرة، الطبعة السابعة.
- **فقه اللغات السامية**: بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض (١٩٧٧م).
- **في صوتيات العربية**: محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمَّان.

- **القول السديد في علم التجويد**: على الله بن علي أبو الوفا، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **الكتاب**: سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- **لب اللباب في تحرير الأنساب**: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- **اللباب في علل البناء والإعراب**: أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- **لسان العرب**: ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- **اللغة**: فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة (١٩٥٠م).
- **المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية**: محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة السابعة (٢٠١٢م).
- **المدخل إلى علم أصوات العربية**: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- **مدخل في الصوتيات**: عبد الفتاح إبراهيم، دار الجنوب للنشر، تونس.
- **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر**: عبد القادر مرعي الخليل، منشورات جامعة مؤتة، الأردن (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**: عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، سورية، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م).
- **معجم اللغة العربية المعاصرة**: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- **معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية**: عبد العلي المسئول، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

- **المفصل في صنعة الإعراب**: جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).
- **مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية**: محمد يحي الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
- **مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- **المقتضب**: محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- **الممتع الكبير في التصريف**: ابن عصفور الإشبيلي (ت: ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٦م).
- **مناهج البحث في اللغة**: تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٩٠م).
- **موت الألفاظ في العربية**: عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة التاسعة والعشرون، العدد السابع بعد المائة (١٤١٨هـ - ١٤١٩هـ).
- **الموضح في التجويد**: عبد الوهاب القرطبي (ت: ٤٦١هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م).
- **النشر في القراءات العشر**: ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، تحقيق: علي محمد الضباع.
- **نظرات في علم الأصوات**: منير تيسير الشطناوي، الجامعة الهاشمية (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- **نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد**: محمد مكي نصر الجريسي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الرابعة (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**: عبد الفتاح المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية.
- **الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم**: أحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٩
المقدمة	٢٠
المبحث الأول: صوت الضاد بين المتقدمين والمُحدَثين	٢٥
أولاً: إشكالية صوت الضاد	٢٥
ثانياً: مخرج الضاد وصفاته عند المتقدمين	٢٦
ثالثاً: الضاد في الدرس الصوتي الحديث	٢٨
رابعاً: صوت الضاد «رؤية جديدة»	٣٤
المبحث الثاني: صوت الطاء بين المتقدمين والمحدثين	٣٩
أولاً: مخرج صوت الطاء	٣٩
ثانياً: صفات صوت الطاء	٤١
ثالثاً: صوت الطاء «رؤية جديدة»	٤٥
المبحث الثالث: صوت القاف بين المتقدمين والمحدثين	٤٨
أولاً: تحديد مخرج القاف	٤٨
ثانياً: القاف بين الجهر والهمس	٥٠
ثالثاً: صوت القاف «رؤية جديدة»	٥٣
الخاتمة	٦٤
فهرس المصادر والمراجع	٦٦
فهرس الموضوعات	٧١